
أولادنا
سندريلا تعود
بقلم
لينا كيلانى
دار المعارف

أولادنا

(٤٠)

سندريلاَّ تعود

بقلم

لينا كيلانى



دار المعارف

تصميم الغلاف : إسماعيل دياب

رسوم داخلية: منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

إلى الطفلة الحلم..

التى رافقتنى فى زيارتى إلى مدينة (ديزنى ورلد) فى أورلاندو - أمريكا.

لينا

الفصل الأول

يأس ورجاء

ليلةٌ رائعةٌ هادئةٌ رغمَ أنَّ الطقسَ خريف.. والقمر زورق أبيض فضي يسبَحُ فى سمَاءٍ بنفسجيَّة. (ساندى) تقطعُ الشارعَ إلى حيثُ مَقر عملهَا الجديد وهُو (مركز الفضاء). هلْ هى يائسة أمْ أنَّ نجومَ الأملِ والرجَاء لا تزالُ تلوحُ لهَا فى الأفق؟.

(ساندى) فتاةٌ فى حَوالى العِشْرين نالتْ شهادتَها الثانوية وكلها أحلامٌ بأن تتابعَ دِراستهَا الجامِعيَّة فى العُلوم.. لكنهَا اضْطرتْ لأن تشتغلَ معلِّمةً بعد أنْ مَاتت أمها. وأخوها الصَغير فى حَادث سيَّارة. هى تحبُّ الأطفَال، وتتمنَّى أنْ تنجِبَ فى المستقْبل أطفالا كثيرين.. من أجل أخيهَا المفقُود أحبَّت كُلَّ الأطفَال. وَلمَّا اشتغلَت مُعلمة ظنتْ أنهَا ستعوضُ عنْ حرمَانها منْ جوِّ العائِلةِ والطُفولةِ. لاَسيَّمَا وأنهَا تبيتُ فى مدرسَة دَاخِلية. لكنهَا بعدَ فترةٍ أحسَّت أنَّ هذَا الجوَّ يضْغطُ عليهَا أكثر ممَّا يُريحهَا.. فهِى فى كلِّ يومٍ تتذكَّرُ أمهَا فى شخْص المشْرفة اللَّيْلية التى تشبههَا فى طِيبتهَا وحنَانهَا.. وفِى كلِّ ساعَةٍ تتذكرُ أخاهَا بحرَارَة.. بل كانَ يلبسُ وجوهَ الأطفال ويتحركُ عِوضًا عنهُم. ثمَّ ماذَا عَن أحلامِهَا فى أنْ تصبحَ رَائِدةَ فضَاء؟.. تقفِزُ فى مشيَتِهَا وكأنهَا تَطِير.. تحركُ ذراعيْهَا مثْل بطةٍ تحاولُ الوثوبَ عن



الأرْض.. تنظرُ إلى السَّمَاء وتتنهَّد: أيهَا القمَرُ الجمِيل.. لقدْ صعَـدوا إليْـك.. أولئِكَ الروَّادُ الأبْطال.. وسَارُوا فوقَ أرضِكَ خفِيفةَ الجاذِبية مثُـل فراشَـات.. ألمْ تكنْ سَعِيدًا بهِم وأنتَ الكوكبُ المهْجُور الذِى لمْ تطأه قدمًا إنسَان؟.. ألمْ تفْـرحْ لأصْـواتِ مرْكبتـهِم وهـى تـهبطُ فـوقَ أرضِـك السَّـاكنةِ منـذُ ملاَيـين السِّنين؟.. ترى هلْ كانتْ ظلالُهُم ترتسِمُ كَظلالنَا نحنُ البشَر علـى الأرْض؟ والنجُوم.. هذِه النجُومُ التـى أراهَـا الآن هـلْ رأوْهَـا بمشـهَد مُخْتلِـف؟ هـلْ كانتْ أكبَر.. وأكثَر سُطُوعًا.. أمْ أنهُم لمْ يروهَا على الإطلاَق لانشِـغَالهم فـى مُهِمَّتِهِم؟

أمَّا أنا أيهَا القمَر.. فلوْ صعَدْت إليْـك. . أو نحـوَك فـى الفضَـاء فلسَـوْف أحْفُرُ فى ذاكرَتى كُلَّ المشَاهد.. وألـوَان الآفـاق الأربعَـة التـى تتحكَّـم فيـهَا الشمسُ وخاصَّة فى الفجْر أو عنْدَ الغسَق. ولمَ لاَ أفعَـل؟ ألـنْ تـدومَ الرحلـةُ أيامًـا وليَـالى وربمَـا أسـبُوعًا أوْ أكثَـر؟ ومَـاذا عـنْ منـاظِرِ البحَـار والجبـالِ والشلاَّلاتِ فوقَ سطحِ الأرْض؟

تشعُرُ (ساندى) أنَّ قلبهَا عُصْفور يريدُ أنْ يطيرَ منْ صدْرها.. مضَى عليهَا أكثرُ منْ عاميْن، وَهىَ تتدرَّبُ فى مركزِ الفضاءِ قبلَ أنْ تتركَ التعليمَ لتلتحِقَ بعمَلٍ صَغيرٍ فى الوَكَالة الفضَائية.. صحيحٌ أنَّ مرتبـهَا قَليـل، لكـنَّ الفرصَـةَ أمامهَا واسعَةٌ، ليسَ للتدريبِ فقطْ بل للمعْرفةِ والاطلاَعِ أيْضًا.

لمْ يعدْ شىء فى العَالم يشغلهَا عمَّا هى فيهِ بعـدَ أنْ خرجَـتْ مـن بيـتِ أبيهَا إلى غيرِ رجْعة.. زوجتُه لمْ تحتمِلْ وجودَهَـا معـهَا.. وهـى بالتَّـالى قـد

هَربت مـنْ هـذا الجحِيـم الصَّغيرِ لتسْتقلَّ بحيَاتـهَا.. كـانتْ تـزورُ أباهَـا وَهِـيَ فِـي المدرسَـةِ الداخِلية، وتقضِـي إجَازاتـهَا معَـه.. لكنـهَا وبعـدَ أنْ عاشَت معَ إحْدَى زميلاَتـهَا فـي هـذا البنـاءِ التـابعِ لوكالـةِ الفضَـاءِ لمْ تعدْ ترى أباهَا.. وهو لا شَكَّ أصبحَ منشغِلاً بطفْله الذِى كانَ عَلىَ وشَـكِ القـدُوم. كانَ ذلكَ منذُ عامٍ أوْ أكْثر.. مَـنْ يـدْرى.. ربمـا سـيَكُون هنـاكَ طفـلٌ آخَـر؟ إحساسهَا بالمسؤُولية عن نفسـهَا بعـدَ فقـدانِ الأسْـرة جعلـهَا أكْثر تحمُّساً واندِفَاعًا في عمَلهَا الجدِيد. إنه عَالمهَا الأوْحَد.. والـذِى يمـلأُ حياتـهَا الآنَ ولا ترغبُ فِي شيءٍ سِوَاه.

هذا الأسبوعُ استكمَلَت كلَّ تدريباتهَا رغْمَ أنهَا كانتْ شَـاقة.. وقَـالَ لهَـا زميلُـها فـي المركـزِ أنـهُم سـيصدُرُون اللَّيْلـة قائمَـةً بأسمَـاءِ المرشـحِينَ لطـاقمِ الرحْلـة الجدِيـدة.. صحيـحٌ أنَّ القائمـةَ زاخِـرةٌ بالأسْماء. ولكـنْ مـنْ يَدْرى؟ ربما يبتسِـمُ لهَـا الحـظُّ ويكـونُ اسمـهَا وَاردًا. صحيـحٌ أنـهَا مرْحَلـة أوَّليـة تتبعُـهَا مراحِـلُ ومراحِـلُ، لكِـنَّ المـهمَّ هـى الخطـوةُ الأولى. ومـاذا ينقُصُـها؟ - يقـولُ زميلُـها - إنـهَا شَـابة ذاتُ جسـمٍ ريَـاضى سَلِيم.. وقـدْ أبدَت تفَوُّقًا في التدْريبـاتِ نتيجَـةَ ذكائـهَا وصبْرهَـا واحتمَالهـا.. ثـم إنـهَا أهـمُّ مـنْ كـلِّ ذلـكَ تشـتعِلُ حمَاسـةً وإيمانًـا باختيارهَـا هـذِه المهمَّـةِ الفريدَة. زميلُها مثلـهَا شـابٌّ يتفجَّـرُ حَيوِيـة واندفَاعًـا.. وقـد سمَّـى نفسَـه (جون) تيمُّنًا باسمِ رئيس الولايات المتحدة (جون كنيدى) الـذى تمـتْ فـى عهْده برَامِجُ الفضَاء.

(جـون) إنسَـانٌ جَـاد.. ومثـابرٌ عَلـى الاطـلاَع.. وهـو باسـتمْرار يمدُّهَـا بالأبحَـاثِ والكتـبِ حـولَ الفضَـاء، وبـالمجلاَّتِ أيضًـا.. منـذُ مـدةٍ قـامتْ وإيـاه بتجْربَـةٍ خيَاليـة.. صعـدا إلى المركبَـةِ الفضَائيــة التجْريبيــة وأخـذا يرسمَـان كـلَّ خطـوةٍ مـنَ الرحْلـة التـى يحلُمَـان بـهَا.. هنَـا سيلتصِقُ كـلٌّ منـهُمَا فـى مقْعَـده الخـاصِّ بـه.. وهَـا هِـيَ الآلاتُ التــى سيسـتعْمِلُونهَا.. والأزرَارُ التِـى سيسـتخدِمُونها.. هكَـذا سيأكلانِ ويشــربَانِ وهمَـا مقيـدَانِ فى مكانهمَا.

وأطرفَ ما مرَّ فى هذِه الرحْلَةِ الوهْميَّة، هوَ ذلكَ الحوارْ بينــهمَا هاتفيـا، وكلٌّ منهمَا ينظرُ إلى شاشَـةٍ صَغِـيرةٍ أمامـه.. كـلٌّ منـهما يسـألُ الآخـرَ عـنْ مشَاعِره، ومقدَار سعَادته. ثم انفجَرَا بـالضحِكِ لأنَّ هـذا لا يتـمُّ فـى برنَـامجِ الرحْلَة الحقِيقية.

(ساندى).. وقبْلَ أن تصلَ إلى مركزِ الفضَاء تشـعرُ كـأنَّ (جـون) معـهَا.. أوْ هوَ يتبعُ خطوَاتهَا. ماذا لوْ أنه هُوَ الآخر فـى المركـزِ مـنْ أجـلِ تدريبَـاتٍ إضَافية؟.. قلبهَا يحدثهَا بذَلك. تقفزُ مسْرعَة.. وخلالَ دقَائق تصِل.

لمْ يكـنْ فـى غرفـةِ التدريـبِ سـوَى الحـارس.. وهـوَ يحبـهَا، ويعطـفُ عليــهَا مِثْــل ابنتِــه.. ويســمحُ لهَــا باســتعمال «الكمبيوتــرات» والشاشَات، ووسَائلِ التدْريب، فهوَ عَلى ثقةٍ أنهَا لا تخـرِّبُ شَيْئًا، حتَّـى ولوْ لم يكنْ معَـهَا إذنْ رسْـمى بـالتدريب فإنَّـه يتجَـاهلُ طلـبَ الأذنِ حتَّـى لا يحرجهَا.

تلقى تحيتَهَا عَلى الحارس بلطفٍ وأدَب.. وتسْأله هلْ منْ جَديدٍ بالنسبَةِ للقَائمَة؟ فيجيبهَا أنه لا يعرفُ شيئًا، وهُم لمْ يعلنُوا عنْ شيء. تغمرهَا هُمومٌ فجَائية.. وتشعرُ أنَّ المركزَ أكثرُ برُودَةٍ من الجوِّ خَارجًا. وأنه كئيبٌ كمَا لو أنهَا تدخلُ إلى مصنَعٍ مهجُور.

يضعفُ اندفاعُهَا للتدريبِ تدْريجيًا.. تجلسُ إلى إحْدَى الشاشَات، وتضغطُ عَلى زرٍّ فيبرزُ أمامهَا «فيلم» عنْ رحْلَةٍ فضائيَّةٍ ناجحَة.. شيءٌ منَ الإحسَاس بالخذلانِ يستوْلى عليها.. لنْ تكونَ مثْل هؤلاءِ أبدًا. تتصفحُ بعضَ المجلاتِ الخاصَّة بالفضَاء.. لكنها لا تستوعبُ المعلومَاتِ وكأنها تطَّلعُ عليهَا لأولِ مرَّة.

ترمِى نفسَهَا فوقَ مقعدٍ جلْدى مُريح.. هِى عاجزةٌ عنِ التفكيرِ فى أىِّ شيء.. تضعُ سمَّاعتينِ فوقَ أذنيها وعندما تصلها موسيقى صاخِبة تشعرُ بالضَّجَر.. لتذهبَ إلى بيتهَا الصَّغير إذنْ.. وما هى إلا دقَائِقُ وتكونُ فى فراشهَا معَ همومهَا. ولكنْ.. لوْ أنَّ شيْئًا حدث هنا كأنْ يأتى (جون) بقائمةِ الأسمَاء ليودعهَا فى «الكمبيوتر»، عندَ ذلك ستضيعُ عليهَا فرحَةُ المفاجَأة.

تأخذُهَا ذكرياتُهَا إلى أمهَا.. هى الوحيدَةُ التى كانتْ تفهمهَا. وتفهمُ أحلامَهَا فى أنْ تصبحَ رائِدَة فضَاء.. وكثيرًا ما اصْطحبتهَا فى العطلاتِ إلى مُتْحَفِ الفضَاء، وساعدتهَا فى فهْم الخرائطِ والمجسَّمَات.

وبينَ اليأْسِ والرجَاء.. وبين التوتُّرِ الذهْنى والتعبِ الذِى سيْطرَ على جَسَدهَا تأخذُهَا إغْفَاءَةٌ.. فى نومهَا ترى أنهَا ريشةٌ تطيرُ فِى الفضَاءِ

وتطِير.. وأنهَا نسرٌ يحلّقُ فى الأعَالى.. بلْ هىَ فى طَائِرة.. تقُودُهَا بنفسِهَا، وتعلُو بهَا فوقَ قِمَم الجبال الشاهقَة وفوقَ الغُيُوم.. الطائرةُ تتحولُ إلى مرْكبـةٍ فضَائية تشقُّ الغلافَ الجوِّى لتتنزهُ بينَ النجُوم، بعدَ أن تنفلتَ منْ جَاذبيَّةِ الأرْض. ضَجّة مفَاجِئة توقظهَا منْ أحْلاَمها.. هـل حصلَـت المعْجِـزة؟ وهـلْ أتَى (جون) أو سوَاه إلى المرْكز؟.. أمْ أنه الحارسُ يقومُ بجوْلته اللّيْلية..

– مَـاذا؟ – يقـولُ لهَـا بنَـبْرةٍ أبويـة – أراكِ متراخِيـة الليلـة.. هـلْ أنتِ متْعَبة؟

– أبدًا.. أبدًا.. – تقولُ له – لكنّنِـى كنـتُ أقـرأ فـى مَجَلّـةٍ، وأسـتذكِرُ بعضَ المعلُومَات.

وهكَذا امتدَّت يدُهَا إلى رَفِّ المجَـلات، فـأخرجَت إحدَاهَـا. وبالمصَادفـةِ وقَعَت على مقَال مترجَم عنْ حيَاةِ رائدَةِ الفضَـاء السُّوفيتية الأولى (فالينتينـا تريشكوفا). فقرأتْ بانتبَاهٍ شديدٍ كيـفَ كـانتْ عَامِلـة بسِيطة فـى معْمَـل، وأهلهَا يقطنُون فى ضَاحيةٍ قربَ موسكو.. لكنهَا كـانتْ مشْغُولة بالفضَـاء، وقامتْ بتدريبَاتٍ شَاقّةٍ، وتطوعَت لهذِه المهمَّـة.. وأنـهُم لمؤهـلاَتٍ تمتلكُـهَا (فالنتينا) منْ قوةِ الأعصَاب، والصبْر، والاحتمَال، اختارُوهَا منْ بين مئـاتِ المتطوعَات.. ولأنهَا كانتْ شَابة جَمِيلة، ومتفائِلَـة أيضًـا. وهكَـذا أصبَحَـت نجمةُ العالمِ فى الستينَات.. وملأت صورُهَا وأخبارُهَا الصحفَ والمجـلاَّت. نظرَتْ إلى صُورتهَا أيضًا فرأتهَا تبْتسِم.. أحسَّت كأنهَا تبتسِمُ لهَا بـالذَّات.. وأنهَا تحدثهَا عنْ نفسِهَا إليهَا بالذَّات.

إذْ أغلقَت المجلّة وفكّرت أنْ تنسَحبَ إلى بيتِهَا، مرَّت أمامَ القاعَةِ الكُبرى للتدريبَات.. وجدَت البابَ مفتوحًا حيثُ الأجهزَةِ الكَثِيرةِ للاتصَال الفضَائى.. منهَا مَا هُو مباحٌ للعلَمَاء والخبرَاء.. ومنهَا ما هُوَ محْظُور لأنه فِى طوْر التجَاربِ العلْميَّة المسْتقبَلِيَّة.

كان عددٌ منَ المشْتغلين بهذِه الأجهزَة وراءَ الأزرار والشاشات والسمَّاعَات فوقَ رُءُوسِهِم. لمْ ينتبهْ إليهَا أحَد. وفى الغرْفَة السِّرية التى لا يدخلُ إليهَا إلاَّ أهَمُّ العلمَاءِ حَامِلى الأسرَار، كانَ هناكَ جهَازٌ سِرِّىٌّ للغَايةِ قالَ عَنْه (جون) إنه معْجزَةُ القرْن.. وإنه مُحَاط بالكتْمَان الشَّديد لأهمِيَّتِهِ العلْمِيَّة.. وذلكَ بأمرِ من رئيس البلادِ بالتحْدِيد. ولماذا؟ لأنه جهَازٌ للتحكُّمِ بالزمَن.. زمنُ (الورَاء).. أى أنَهُ يلتقِطُ الأمواجَ الضوئيةَ والصَّوتيةَ المبعثرةَ فى الهوَاءِ ليجمعُهَا فى صُور وَرُبما فى أصْوَات.

لا تعرف (ساندى) مَا الذِى يجعلُهَا تدخلُ كالمسحُورةِ إلى تلكَ الغرْفةِ دُونَ أن تفكِّرَ فِى العوَاقب. فلَو اكتشِفَ أمرُهَا فلسوْف تُطرَدُ منَ المركز، وربما تحاكَمُ أوْ تُسْجن. لكنْ رغْبة جامحَة أقوى منْ إرادتهَا تدفعهَا. تدِير الجهازَ وهى ترتجِف.. لماذا؟ لا تدْرى ما الذى تُرِيدِ أنْ ترَاه؟ أيضًا لا تدْرى.. لكنه إحسَاسٌ لا يقَاوم.

مَا أن تديرُ بعضَ الأزرار حتَّى ترَى أحدَاثًا مرتْ منْ ماض قريبٍ وآخرَ بعيدٍ وكأنهَا تقعُ فى حينهَا الآن. ترَى حرُوبًا.. ومدُنًا تُشَاد.. وجسُورًا تقَام.. ومؤتمرَاتٍ ومهرجَانَات، ومَا لا حصْر له منَ

الشـوَارِع والمنتزهَـات.. خليـطٌ عجيـبٌ مـنَ الأزمَـانِ ولا دليـلَ أمامـهَا علـى الأمكِنةِ سـوَى أزيـاءِ النـاسِ ولغَاتـهم، وأسـلوبِ معِيشـتهم. ينتابـهَا شـعورٌ بالفزَعِ.. تُوشك أنْ تصْرُخ. كلُّ ما تراهُ حَقِيقى وكأنما انتقلَت هــى أيضًـا إلى زمَنٍ مضَى.

تقفِلُ الجهازَ وهىَ ترْتَجِف. تدخُلُ إلى القاعَةِ الكُبرى رغمُ أنهَا محْظـورة عليهَا، فيفاجَأ بهَا أحدُ العـامِلين هنَـاك. لمـاذا تخـرِق قـانونَ المركـزِ بـهذِه الطريقَة، وفى هَذَا الوقْتِ بالذَّات؟

يَرنُّ جَرَس الهاتفِ، ويردُّ الرجُلُ الذِى أمامهَا ثم يقُول:

- يبدُو أنَّ أحَدًا ما يعْرف أنكِ هنَا. المكَالمة لكِ.

وعَلى خطِّ الهاتِفِ كان (جـون) يأمرهَـا أنْ تذهـبَ إلى غرفـةِ التدْريـب، وأمَامَ الجهاز رقم (٢٠) معلومَاتٌ تهمهَا جِدًّا. تسرعُ إلى الجهَاز. مَا أنْ ترَى لائحَةَ أسمَاءِ المرشَّحِين المقبُولين واسمهَا منْ بينهِمْ، حتَّى تقفزُ مِـنَ الفَـرَح.. وتهرعُ للخُرُوج منَ المرْكَز.

عندَ بابِ الغرفَة السِّرِّية تسمعُ صوْتًا كأنهُ مِـنَ الفضَـاء ينادِيـهَا.. وتلمحُ طيْفًا أبيض. تتسلَّلَ مرَّة أخْـرى إلى الغُرْفـة السِّـرية فـلا تجـدُ للوهلَـةِ الأولى أحَـدًا.. ولا تسـمعُ صوْتًـا.. إنـها خيالاتـهَا إذنْ.. ولابـدَّ أنَّ ذِهْنَـهَا أصبـحَ مُشَوشاً. ترتدُّ ببطْءٍ فتجدُ نفسهَا أمامَ فتـاةٍ بـاهرةِ الجمـالِ فـى ثـوبٍ طَويـل أبيض.. وشَعْرٍ أشْقَر مصفَّفٌ بطريقَةَ غَرِيبة، وقد كشفَتْ عنْ صَدْرِها، وبـدَاً وجهُهَا مُضِيئاً كالفجْر.

(ساندى) تقولُ لهَا:

- مَنْ أنتِ؟ وكيفَ دخَلْتِ إلى هُنَا؟

الفتاةُ تردُّ:

- بل أنتِ مَنْ أنتِ حتى تستدعِينى منْ عالمى فأهبط إليك؟

أنا سندريلاً.. سندريلاً الأسْطُورة.. سندريلاً الخرَافة.. سندريلاً التى فَتنت دُونَ سِوَاها قَلْبَ الأميرِ.. فتزوجَتْه وعاشَتْ فى قصْرٍ كبيرٍ كَبِير..

(ساندى) ترتعِش.. تشعُر ببرودةٍ تَسْرى فى جسدِهَا. مَاذا تفعَل؟ هذه الفتاةُ أمامهَا مثْل جنيَّة.. أين موطنها؟ فى أى زمنٍ عَاشَت؟ ما اسمُ أميرُهَا؟ وفى أى مكانٍ قَصْرها؟

تبعِدُ هذِه الأفكارَ عنْ ذهنها لتقولَ لها بعقْلية عمَلية معَاصِرة:

أنتِ خرجْت منَ الجهَاز وسوْف أعِيدك له.. تعالى مَعِى.

تردُّ سندريلاً ضَاحِكة:

سواء خرجْتُ منَ الجهاز.. أو منْ ذهنك.. أو جئتُ وحْدى على جناحِ السِّحْرِ فأنا لنْ أعُود.. سأذهبُ معكِ إلى بيتكِ.. هلْ تأخُذِيننى معَك.. أم ألحقُ بكِ.. أمْ أسبقُك؟..

ثم ضَحِكت برَنينٍ كالذَّهب.

* * *

الفصل الثانى

ليل طويل جدا

ذلك اللَّيْل الذِى قضَته (ساندى) مع (سندريلاً) فـى منزلهـا كـانَ طوِيـلاً جدا.. أطولُ ليلٍ عَرَفته فى حياتهَا.

عندمَا وصَلَـت (سـاندى) إلى غرفتـهَا بينمَـا رفِيقَـة سـكنهَا فـى إجَـازة، كـادتْ تصعَـق عندمَـا رأت (سـندريلاً) أمامــهَا.. مندَهِشــة وعيناهَــا تتفحَّصَان كُـلَّ شـىء.. مضْطَربـة فـى حركَاتـهَا، وقلبـهَا مِثْـل طـائر يخفِـقُ تحــتَ ثوبــهَا الضَّيِّــق.. وأناملــهَا ترتجــفُ وهــى تحــاولُ أنْ تَخلَــعَ حِذاءهَا الذَّهبى.

– مَاذا تفعَلِين يا سندريلاً.. هل تنوِين الإقامةَ عنْدى؟.. ليسَ لدَىَّ وقتٌ مِنْ أجْلك.

أنا مشْغُولة جدا.. وعلىّ أن أستيقِظَ باكِرًا مِنْ أجْلِ التدْريبات.

– أىُّ تدريبَات؟.. تقولُ سندريلاً – على الفروسيَّة وركوبِ الخيلِ مثلاً؟

– لا.. لا.. تقولُ سَاندى – كيفَ سأشرحُ لَـكِ؟.. الموضـوعُ صعـبٌ جِـدا معقدٌ وطويل، لاسيمَا وأنكِ منْ عصْرٍ سَحِيقٍ لا أعرِفُـه بـالتحْدِيد. أعنِـى أنَّ علومنَا لنْ تكونَ مفهُومة لكِ.



حدِّثيني.. تقولُ سندريلا – فأنا مِنْ عصْرِ السِّحْر.. والسِّحْر أسرعُ .. ع دسيْفه أقطَع.

- أيُّ سحرٍ هذا الذِى تتحَدَّثين عنْه يا سندريلاً؟ تقولُ ساندى – هل تقصُدِين تلكَ الأَحداثِ التِى مرتْ معَك؟

– بالضبْط. تقولُ سندريلاً – هذا مَا أعْنِيه..

تخلعُ ثوبهَا الأبيضَ الضيق.. وترْخى شعْرهَا.. وتفكُّ عنها أحزمةَ ثيابهَا الدَّاخِلية، وترتمِى فوقَ سريرِ (ساندى)، بينمَا حذاؤهَا الذَّهبى قَدِ انتَثر، كلٌّ فردَةٍ فى مكَان.

تتنهدُ سندريلاً وتغيمُ عيناهَا فى حُلْم بعِيد.. وينتعِشُ وجهُهَا بلون وردى صَاف، ثم تقولُ:

– كنت فتاة جمِيلة وطيبةْ القلْب . ظلمْتنى زوجَة أبى، وجعلْتنى مِثْل خادمَةٍ لهَا فى البيْتِ.. أكنُسْ.. وأمسحْ.. وأغسِلُ.. وأطبخُ.. وأجلبُ الماءَ منَ البئْر.. والحطبَ منَ الغابة.. وأحلبُ الأبقَار.

– كفَى.. كفَى – تقول ساندى – أعرفُ بقيةَ القصَّة.. ثُمَّ تركُوكِ فى البيْتِ وحْدَكِ ليلةَ الحفْلِ الملَكى الكَبير حتَّى جَاءت السَّاحرَةُ..

تقاطعهَا سندريلاً:

– تماماً.. جاءت السَّاحرةُ وعطفَتْ على.. ومسحَت دمُوعى.. ثمَّ بعصَاها السِّحْرية أنقذَتنى. ليسَ فِى أنـهَا رفعْت عَنِّى أعباءَ البيت منْ تنظيف

وترْتيبٍ .. بـل ألبسَتْنى هـذَا الثـوبَ الرائـعَ الـذِى ترينـه.. وجَمَّلـت لـى وجْهى. وصففَت بشكْلٍ فاتِنٍ شعْرى.. وزَيَّنتى بـالورُودِ البدِيعـةِ عِوَضـا عـن الحُلى الثمِينة.. ثُمَّ..

تكملُ (ساندى) القصةَ:

ثُمَّ اسْتدعَت لكِ عربةً بستَّةِ خيوُلٍ وأرسَلتكِ إلى الحفْل..

تقاطعهَا (سندريلاً):

لكنـهَا اشـترَطَت علـىَّ أنْ أعـودَ قبـلَ أنْ تـدقَّ السـاعةُ الثانيـــةُ عشْـرة وإلا انتهَى مفعُولُ السِّحر.. وعـدْتُ فـى أنظـار الجمـيع - وليـسَ الأمـَير فقط- كمَا أنا فقِيرة زريَّةَ الهيئَةِ والمنظَر.. ويا لتعَاسَتى عندمَا ترانِـى زوجـةُ أبى وبناتهَا.

تضحَكُ (ساندى).. وكأنما انسجَمَت معَ القصَّةِ كمَـا كـانتْ تفعـلُ وهـى طِفْلة.. لكنـهَا تنبـهَت أنَّ كـلَّ شـيءٍ الآن مخْتلـف. فـهى لمْ تعـدْ طِفلـة.. وسندريلاً أمامهَا لا تزالُ تغرقُ فى بحْرِ السِّحْرِ فكيفَ تنتشلُهَا منه؟

تقُولُ بلهْجَةٍ هَادِئة:

- ومَاذا فى كلِّ ذلكَ يا سندريلاً؟ إن أىَّ فتاةٍ فى زماننَا هذَا تستطيعُ أن تعدَّ نفسهَا للحَاقِ بحفْلٍ كبيرٍ فى مَدَى سَاعتين أوْ أقل. ولا سحْرَ ولاَ شـىءَ منْ تلكَ الأعَاجِيب.. هذَا إذَا وجَدَت الآن فتَاة تظلمهَا امـرأةُ أبيـهَا إلى هـذَا الحد.. تعالى مَعِى لأبرهنَ لكِ عَلى مَا أقُول.

تقُوم (سندريلاً) متَثاقِلة.. والنومُ الممتزجُ بالأحْلاَم الورْديةِ الناعمَةِ لا يزالُ بينَ أجفَانِها. تسيرُ حَافيةً وراءَ (ساندى) التِى تعرِّفهَا بالبرهَان العمَلى عَلى الغسَّالة والمكْنسَة الكهْربائيتين.. وعلى الفرْن الذى يعمَلُ بالذَّرة.. وعَلى الهَاتِف.. والتلفزيون.. ومجَفِّفَ الشعْر أيضًا. ولا تنسَ أنْ تضعَ بينَ يديهَا مجَلاتٍ مصَورةٍ وإعْلاناتٍ عنْ محلاَّتِ الأزياءِ معَ عناوينهَا وأرقَام هواتفهَا.

ومَاذا بعْد؟ تقولُ ساندى - كلُّ هذَا الذِى تسمِّينه سِحْرًا أصبحَ بينَ أيدِينَا الآن.. وَفى لحظاتٍ بعْدَ أنْ تتزيَّنَ إحدَانا، تستطيعُ أنْ تستدعِيَ سيارةً وهيَ بالطبعِ أسرعَ منَ العربَة، وتلحَقَ بالحفلِ سوَاءٌ كانَ ملكِيًّا أوْ غَيْرَ مَلَكى.. هذِه هى حياتنَا يا سندريلاً.. فماذَا تقُولين عن سَاحرتِكِ وعصَاهَا السِّحْرية؟ إن العلمَ اليومَ يفُوقُ كلَّ سحْر، بل يتعدَّى إلى الخوارقِ والمعْجِزَات. مَا قوْلكِ فى أنكِ تَسْتطِيعينَ أنْ تنتقِلى منْ بلادٍ إلى أخرَى، أو منْ قارةٍ إلى قارةٍ بالطائرَةِ لتحضرِى إحدَى الحفلاتِ مثلاً أوْ أحدِ المهْرجَانات؟

تبدُو (سندريلاً) ليسَتْ مبهُورة أو مندَهِشة فقَط وإنما كمَنْ أُصيبتْ بصدْمة فاجِعة.. يغدُو لونهَا شاحِبًا.. وتغرقُ عيناهَا فى غمامَةٍ منَ الأسَى والدمُوع.. لاسيمَا وأنَّ (ساندى) وجدَت نفسهَا مضْطَرة لأن تفسرَ لهَا المبادئ العلْمِية التى بنيتْ عليهَا منجزاتُ العصْرِ مِنَ الكهربَاء واستخدامَاتِهَا، إلى النفطِ ومشْتقَّاته، وخَاصَّة البنزينَ بالنسبَةِ للطائِرَات والسيَّارات، وصُولاً إلى

المركبة الفضَائية، ولمْ تنسَ أنْ تشرحَ لهَا أيضًا عن الذَّرَّة، ومَا أتتْ به منْ تقدُّمٍ للبشَرية.. وكذلك عَن قوَانين الجاذِبيةِ للأرض والكوَاكبِ الأخْرَى، وأسُس الضغْط والبخَار، والأمواجِ الصَّوتية والضَّوْئية، وكلُّ ما تعرِفُه عنِ الفيزياء، والفيزياء النوَويَّةِ.

وهكَذا انقضَى ذلِك الليلُ الطويلُ جدا.. وأحسَّت كلٌّ منْ (ساندى) و (سندريلا) بالتعَبِ الشَّدِيد. وبمقدارِ مَا كانتْ (ساندى) فَخُورةً بزمَانِهَا ومَا يُحققه العلمُ فيه، بمقدار ما كَانت (سندريلاٌ) حائرةً وحَزِينة. حائِرَةً.. مَاذا تقولُ عمَّا تسمَعُ، وحزينة مِنْ أجْلِ مَصيرِهَا كأميرةٍ أسْطُورية.

قالتْ ساندى:

– علينَا أنْ نستريحَ الآن.. فهذِه الأمورُ يطولُ شَرْحُها.. ثم إننى لا أعرفُ عنهَا إلا كمَنْ يغرفُ نقطةً مِنْ بحْر.. وأضيفُ أننى غَدًا سأكونُ منْشِغلَةً جدا بأمرِ مهمَّتى التى شرفَنى مركزُ الفضاءِ بهَا، وهىَ أنْ أكونَ مِنْ طَاقِم المركبةِ الفضَائية.

– مرْكبةٌ فضَائية! تقول سندريلاً – هل يعْنِى ذلكَ أنكِ ستصْعَدِينَ إلى الفضَاء؟

– نعم. تقولُ ساندى وهى تضحَك – لكنهَا ليسَت مرْكبة بجيَادٍ مثْل مرْكبتُك. ألمْ أقلْ لكِ أننى سأشرحُ لكِ فيمَا بعْد عنْ كُلِّ شىء؟

تقولُ سندريلاً بصوْتٍ خَافت:

– كنتُ أظنُّ أنكِ ستطِيرينَ بأجْنحَة.

تضحَكُ ساندى أكثرَ وتقُول:

– وهَل أنا ملاَكٌ حتَّى أفعلَ ذلك؟

– إذَنْ.. تقُولُ سندريلاً – خُذِينى معَكِ إلى الفضَاء.. لعلىِ أتبعثرُ هناك فى ذرَّاتٍ.. أو أتحوَّلُ إلى شُعَاع.

ساندى تقولُ:

لوْ كنتِ وَاثقَة أنكِ خرجْتِ منَ الجهاز لأعدتُكِ إليه بكُلِّ بسَاطة.. فالعلمُ معَادلةٌ رياضِيَّةٌ ليسَ إلاَّ.. لكِنْ فى الأمرِ سِراً.. لابد أنْ أعْرفَه أولاً حتَّى أتصرّف.. وإلا فأنا لسْتُ مسْؤُولة عنْك.

– صحِيحٌ. تقولُ سندريلاً – لستِ مسْئوُلةً عنى.. فأنا التى أردْتُ أنْ أزورَ عَالمك.. كنتُ أظنُّ أننِى أحمِلُ لكِ معِى قِصَّتى.. قصةَ الفرحِ والسِّحْر، والأمَلَ بالحبِّ حتَّى ولوْ كانَ مُسْتَحِيلاً. هذِه القصةُ التى أسعَدَت فى أزمَان متوَاليةٍ كَثيرًا جدا منَ الفتيَات، وملأتْ عيُونهنَّ بالأحْلاَم الورْدِيةِ. ولكِنىٌ وجدْتُكِ تعرفين كُلَّ شىْء.. كلْ شيءٍ عَنِّى. لقد أعطِيتنى الكثِيرَ منَ العلمِ والمعْرفة،لكنكِ سَلَبتنى سَعَادتى. أريدُ أنْ أعودَ إلى عَالمى: أميرةٌ أسْطُورية تنثرُ أحْلامَ السعَادةِ الفضيَّةِ فى العُيُون.. وتملأُ بالأملِ القلوبَ المعذبةَ كلَّ القلُوب.

وأغفَت كلٌّ مِنْ (ساندى) و (سندريلاً).

(ساندى) على حُلْم المسْتقبل.. (وسندريلاً) عَلى حُلمِ الماضِى.

الفصل الثالث

سندريلا وساندى

انغمَرت (ساندى) تمامًا بتدريبَاتـهَا الفضَائيـة وبمبَاهِج فرحتـهَا.. بـينَ لحظةٍ وأخْرى كانتْ تتذكَّرُ (سندريلاً). بل تراهَا مجسَّدةً أمامهَا، ترى هلْ كانَ كلُّ ما مرَّ حُلْمًا منْ أحْلامِ اليقَظة؟ أم أنَّ خيالهَا هوَ الذى شَخَّصَ لهَا ذلك؟.. لمْ تجرُؤْ عَلى أنْ تصَارحَ أحَدًا بما يجْرى.. حتَّى صديقهَا (جـون) الذِى كانَ يمارسُ تدريبَاته أيضًا إلى جانبهَا وفى (القمرة) ذاتهَا. ولمـا لاحَظَ اضطرابَهَا سألهَا عمَّا بهَا، فسألتْهُ هى بدوْرهَا:

هل تعرفْتِ إلى ذلك الجهَاز العجِيبِ الذِى يُحِيطُونـه بالسِّرية التامـةِ والكتمَانِ الشدِيد.. جهَاز الزمَن؟

يسْتفسِرُ (جون):

– تقصدِين الجـهازَ التجْريبى لمجمُوعةِ العلمَاءِ مِنْ روحَانيين، وفيزيائيين، ومُهندِسى إلكْتُرون؟

لقدْ سمِعْتُ به.. ومَا أظنُّ إلا أنه مشرُوعٌ لا يزالُ حَتَّى الآن خيَاليا.

تقُولُ (ساندى):



– ولماذا هُوَ خيَالى؟ ألمْ تكنْ أكْـثر المنجـزَاتِ العِلْميـة خيَـالاً فـى خيـالٍ حتى تحققتْ عَلى أرضِ الوَاقِعِ؟

يردُّ (جون):

– أقصدُ أنه خيَالٌ عِلْمـى.. وليـسَ خيَـالاً مطْلَقًـا أو مجَـردًا، بمعْنَـى أنَّ الخيالَ العِلْمى لابدَّ أنْ يضعَ بذرةً أسَاسـيةً قائِمـةً عَلـى العلْـم، وبعـدَ ذلـك تأتِى جهودُ العلمَاءِ والمخْترعين. ولكِنْ لماذا نناقشُ هذا الموضُوعَ الآن؟

تقُولُ (ساندى):

– هذا مُهمٌّ بالنسْبَةِ لى الآن.. مُهمٌّ جِدا. وسأشْرَحُ لكَ كـلَّ شـىء. ولكـنْ قُـلْ لى.. هـلْ يمكـنُ أنْ تعـودَ المـادةُ وتتجمَّـعُ بعـدَ أنْ تكـونَ قـد تبـدَّدَت فِى الأثِير؟

– ولمـاذا لا تعُـود؟ يقـولُ جـون – إذا استطاعَ جـهَازٌ خـارقٌ أنْ يجمـعَ ذرَّاتهَا؟ ثمَّ أنه لا توجَدُ مَادةٌ عَلى الإطلاَقِ فِى عَالمنَا.. كلُّ شىءٍ عبَـارةٌ عـنْ طَاقـة.. لكِـنَّ ذراتـهَا تختلِـفُ فـى نسـبهَا النَّوْعيَّـة بـينَ البرُوتونـاتِ والإلكترونَاتِ التى تدورُ حولَهَا. الخشبُ والحجرُ طاقةٌ، تمامًا كمَا الشـمْسُ والنَّار.. لكـنَّ الفـرقَ هُـوَ التحْرِيـض، والمـهمُّ فـى كُـلِّ ذلـك هـو (الفوتـون) أو الجوهرُ الأسَاسى الذِى يعْطى الذرةَ ماهيتهَا وتركيبهَا.

تسألُ (ساندى) بتعطُّشٍ شَدِيدٍ للمعْرِفة:

– أعْنِى.. هلْ إذَا عادَتِ الطاقةُ فتجسَّدت فى مَـادَّةٍ يكُـونُ لهَـا شـكلُهَا وفعلُهَا الأصْليين؟

- أتصوَّرُ ذلك. يقولُ جُون - إلا أنَّ أسْـئِلَتَكَ غَرِيبـة، ولا أعـرفُ إلى أىِّ نظريةٍ علْمِيَّة تريدين أنْ تتوصَّلى؟

تقُولُ (ساندى):

- وهـلْ عندمَا تعـودُ سيكُونُ لهَـا حضورهَــا السَّــابق بكُــلِّ تفَاصِيلــه وجُزْئياتِه؟

- رُبَّمَا.. يردُّ جون.

تقفِزُ (ساندى) بعَصَبِيَّةٍ وتقُولُ:

- هَذِه كارثةٌ .. كَارثةٌ حَقِيقيـةٌ. تصـوَّر لـو أنَّ الجـهازَ قـدْ جمَّـع ذراتِ شخْص مَا مَنْ زمن مضَى، كيفَ يمكنُ لَه أنْ يعيش فــى عصْرٍ غَـيْرِ عصْرِه بكُلِّ ما فِيه منْ تغْيِيرَات؟ سيَعِيشُ غَرِيبًا وتَعِيسًا لا شَك.

- هَكَـذا إذن.. يقـولُ جُـون - أنـتِ تتصوَّريـن أنـه يمكــنُ للجــهَازِ أنْ يشكلَ مِنْ أموَاجِ الأثيرِ ومــنَ الـذراتِ الضائعـةِ فـى الفضَـاء، أشـخَاصًا لهُـم صفَاتُـهُم التـى كـانُوا عليـهَا فـى حيَاتـهم. هـذَا حُلْـمٌ بَعِيــدٌ بَعِيــد.. بــلْ هُوَ مُسْتَحِيل.

تسألُ (ساندى):

- لماذا إذنْ اخترعُوا ذلك الجــهازُ وهُـمْ ينفِقُـونَ عليـه مَلاَيـين الملايـين؟ وما فائدَتُه للبشريَّةِ لوْ نَجَح؟

(جون) يقول:

– حَسْمًا للنقاش وحَسَب معلومَاتى أقولُ لك إنهُمْ على فــرض اســتطاعُوا أنْ يرَوْا مِنْ خلال الجهَاز عَلى شَاشَةِ الزمن أشــخَاصًا مضَوْا.. وأنْ يســمَعُوا أصواتًا ضاعَت، فإنهُم سَيرونهَا كَظلال ويسمعُونهَا كأصْدَاء، كمَا نَرى نحــنُ عَبْرَ الأقمار الفضَائية وشاشَاتِ التلفزيونَ مَا يجْرى هنَا وهناكَ على الكَوْكــب الأرْضى، ولكنْ ما أنْ يُغلَق الجــهازُ حتَّــى ينتــهىَ كــلُ شــىء. أمــا نفعــهَا للبشَرية فلا يمكنُ التنبُؤ سَلَفًا بالمنافِع. هلْ كانُوا قدْ حَسِبُوا أنَّ ريادةَ الفضَاءِ ستعودُ بهذِه الفوائدِ العظيمَةِ، منْ كشْــفٍ عــنِ الــثرواتِ الطبيعيَّــةِ وحصْرهــا والتنبؤاتِ الجوِّية، ورصْد الكوارث البيئيَّــةِ مــنْ زلازِل، وثــورَات برْكَانيــة، وفيضَانات، وحرائقَ غَابَاتٍ.. وبالتَّالى فــى الاتصَالاتِ وربْــطِ أجــزاءِ العــالمِ بعْضه ببعْضه؟

يصمُتْ (جون) قليلاً، ومَا يلبثُ أنْ يُضِيفَ:

– ونحنُ لا نعرفُ الآن بمَــاذا ستَعُود تلــكَ الســفنُ المثبتَــةُ فــى الفضَــاء، والتى ترصُدُ الكواكبَ الأخْرى، والنجُومَ، وتسجلُ آلاتهَا وعدسَاتها تفاصيلَ مُعَينة يمكنُ أنْ تغــيرَ وجْــه الحيــاةِ علــى الأرْضِ كُلِّيًّــا. يمكــنُ أنْ يــهجرهَا بعضٌ من أبنائهَا، وخاصَّةً منَ النوابغِ والأفــذاذِ ليعيشُــوا بشــكْلٍ دائــمٍ عَلــى كوكبٍ آخر.

تضحَكُ (ساندى) وكأن تيَّارًا صَاعقًا يفتَحُ خلايَا دماغهَا على حقَائقَ مــنْ نوعٍ جَدِيد:

– أنا أريدُ أنْ أفعلَ ذلك.. ما أجملَ أنْ أعيشَ على سطْح القمرِ مثلاً.

يقولُ (جون):

– تعيشينَ أسْطُورة إذن.. ولكنْ ماذا لِو أردْتِ أنْ تعُودى إلى الأرضِ ولمْ تستَطِيعى ذلك؟

– كيفَ؟ تقولُ ساندى – كما صعدْتُ يمكنُ أنْ أعُود. أعْنى أنَّ العلمَ الذِى أتاحَ لى الصُّعُود.. سيتيحُ لى الرجُوع. أم أنهُم سينسُوننى هنَاك أم أنَّ خرابًا سيحُل؟

– ليسَ هذا ما أقصدُه يا ساندى.. يقولُ جون – أقصدُ أنكِ كيفَ ستعُودينَ للانسجَام فى عالمِ الأرضِى بعدَ أنْ تعيشِى فى عالمِ كوكَبى مختلفٍ تمامًا فى أسلوبِ العيْش فيه عمَّا نعيشُه هنَا؟ يمكنُ أنْ يكونَ أرْقى.. أو أجْمَل.. وأكثرَ قابليَّةٍ لأنْ تحققِى فِيه ذاتِك، أو رغبَاتك، وأمَانيك.. لكنكِ حتمًا ستَعيشين فى وحْشَةٍ وغُرْبة.. ربما فى حَالةٍ أصعبُ بكَثير ممنْ ينتقلُ منْ عصْر إلى عصْر.. هل تظُنينَ أنَّ أجدادنَا لو أتيحَ لهُم أنْ يعيشُوا حياتنَا الآن سيكُونونَ سُعَداء؟ كلُّ إنسانٍ هُوَ ابنُ عصْره.. وبيئتِه.. والشروطُ التى عاشَ فيهَا.

(ساندى) تقولُ بشبْه غضَب:

– هَا نحنُ ننتقلُ إلى الفلْسَفة.. لماذا تفلسِفُ الأمُور يا جُون؟

(جون) يقولُ بكثيرٍ منَ الثقةِ:

– الفلسفةُ لا تنفصلُ عنِ الحياةِ فى كلٍّ شىء.. وخاصَّة العِلْم.. العلمُ فى جوهَره وفى نظامِه وقَوَانينه وفى هدَفِه لا ينفصِلُ عـنِ الفلْسَـفة. ولكـنْ مالنـا ولهَذِه المناقشةِ الآن؟

هذَا يحتاجُ إلى جلَسَاتٍ هَادِئة.. وليسَ أثناءَ فتراتِ التدْرِيب.

صحِيح.. تقولُ ساندى – ولكنْ مَاذا لو قلتُ لكَ أننِى عبثتُ بالجـهَاز.. وحصَلَ معِى أمرٌ فظِيع.. فَظِيع..

(جون) يقولُ باهتمَامٍ بَالغ:

– مَاذا؟ عبثْتِ بالجهَاز؟ وهل أحدثْتِ به ضرَرًا؟.. اسمَعى إنها مسئوليةٌ كبيرةٌ جدًا.

(ساندى) تقول:

– لا لمْ أحدثْ به أىَّ ضَرَر.. لكنَّ الضررَ وقعَ علىَّ أنا.

– كيـفَ؟ يقـولُ جـون – أراكِ سـليمةً معَافـاة، بـل وأكـثرَ نشَـاطًا ممـا أعرفُك.

– إنه ضررٌ نفْسى.. معْنوى.. تقولُ ساندى – وليسَ ضررًا جسَدِيًا.

تنهدَ (جون) بارتيَاحٍ:

– هـذا موضُـوعٌ آخـرُ سـنتحدثُ عنـه بعْـدَ خروجِنَـا مـنَ المركَـز. هـل لديْكِ مَانع؟

تتذكرُ (ساندى) سندريلاً التى تركتهَا فى البيْـت وهـى متَلهِّفَـة للرجُـوع لتعرفَ هلْ لا تزالُ موجُودة أم هى فرَّت أو تبددَتْ فى الفضَاء أوْ تلاَشَت؟

- حَسَنًا. تقولُ ساندى - سنذهبُ لوقتٍ قصير لمَّا يكْفِى أنْ أبوح لكَ بالسِّر. ولكنْ بشرطِ أنكَ لو لمْ تقتنعْ فسوفَ تذهبُ معِى إلى البيتِ لترَى البرهان بنفسِك.

- إذن.. يقولُ جون - نذهبُ مباشرةً إلى بيتِكِ مَا رَأيْكِ؟

- لا.. تقولُ ساندى بذعْر - لا ليسَ قبلَ أنْ أشرحَ لكَ عنْ كلِّ شيء.

تعودُ صورةُ (سندريلاً) إلى مخيلتهَا بقوَّة.. تقتحمُ الفراغَ بينهَا وبينَ (جون).. وكأنهَا تقولُ لهَا: «لا تفعَلى.. إياك أنْ تفعَلى.. أنا حقيقةٌ بالنسبَة إليك ولكنِّى لا أقدرُ أنْ أكونَ حقيقيَّةً بالنسْبة لغيرك.. أعْنى أشكُ بذلك.. لأنَّ هذا يتوقفُ عَلى الشخص نفسِه.. فهُو سيرَانِى إن آمنَ أنه يمكِنُ أنْ يرَانى.. أنا وهُم كالحقيقةِ.. وحقيقَةٌ كالوهْم».

وهكَذا خرجَت (ساندى) مع (جون) إلى مطعَم قُرْبَ المرْكَز، وأفضَت لهُ بمَا تخبئُه فى صدْرها. وبينمَا هو يأكلُ بشَهية.. كانتْ هى تتوهجُ بالحدِيث دونَ أنْ تتناولَ شيئاً. وقبلَ أنْ تنظرَ إلى سَاعتهَا بعْد انتهائِهَا مِنَ الحدِيث.. برزتْ لهَا (سندريلاً) منْ جَدِيد.. حزينةٌ.. وضائعةً.. وكأنهَا تائهةً فى الطرقاتِ تمشِى عَلى غيرِ هُدَى، وتقُولُ لها: ساندى.. ساندى.. أنقذِينى.. سَاعدِينى.

تقفُ فجأةً وتقولُ لجُون الذى بدَا غيرُ مُصَدِّق:

- سواءٌ صدقتْ أم لمْ تصدقْ فهذا ما جَرى بالضَّبْطِ، وأنا مضْطرةٌ للذهَاب.

وبينمَا هى تجمعُ أغراضَهَا فـى محفظتِـهَا لتغـادِرَ المكَـانَ يقـول (جـون) مُسْتغربًا:

– ولكنكِ لمْ تتناوَلِى شيئًا.. كأنكِ عَلى موْعدٍ مَا، وربما هو موْعـدٌ مُـهِم.. أوْ خطِير.. لمْ أعطِك رأيى بعْد.

(ساندى) وكأنما تخاطبُ نفسهَا:

– ليسَ مهمًا رأيـك الآن.. بـلْ أى رأى.. فموعِـدى مـعَ سـندريلاً فعْـلاً خَطِير.. هـذه الفتاةُ الشـفَّافة كالمـاء.. الناعِمَـةُ البيضَـاءُ كـالثلْج.. والرقِيقـةُ كحُلْم.. كيف أتركهَا وقد جنيتُ عليهَا وانتزعتهَا منْ عالمِ الأثِير.

* * *

بينمَا يجْـرى كـلُّ ذلِكَ مـعَ (سـاندى) كـانت (سـندريلاً) لا تـزالُ فـى عـالَمِ سَـاندى.. بـلْ فـى غرفتـهَا. هِـىَ قـادرةٌ علـىَ أنْ تختفــى.. لكنــهَا لا تريـدُ أنْ تختفِـى.. تريـدُ أنْ تعـرفَ أيـنَ موقعـهَا فـى هـذَا الزمَـان؟ هلْ يكْفى أنهَا فـى زمَـان مَـا.. كـانتْ أمـيرةُ الأحْـلام.. أحـلامُ الفتيَـات.. كُـل الفتيَـات.. سـواءٌ منـهنَّ الفقـيراتِ أو الثريَّـات؟ هـل يكِفـى أنـهَا كـانتْ رمـزُ الطيبَـةِ والـبرَاءة، والخـيرُ يغمُـره السِّـحْرُ بـالخَوارق والمعجِـزَات؟ هـل يكفـى أنـهَا كـانتْ شـهقَةُ الفَـرح، ورنـينُ الضحْكـة، وبريـقُ السعَادة فـى العيُـون؟ مـا الـذِى فعلَـه الزمـانُ بـهَا حتَّـى غـدتْ حكايةً للصِّغَار لاَ أكثر.. أسْطُورةٌ لمنْ يجْنـحُ للخيَـال.. وخرافـةٌ تـروَى علـى سَبيلِ الطَّرَافة؟

تتجوَّلُ فى بيتِ (ساندى) الصَّغير.. تشعرُ أنه صَغير أكثر ما يجِب.. كانَ قنُّ الدجَاج فى زمنهَا أوسَع.. ومَا هى هذِه الأدواتُ المعْدَنيةُ اللامِعَةُ والمصْقُولة.. كأنهَا تضغطُ على صدْرِهَا.. وهى لا تجرؤُ عَلى أنْ تمسهَا فكيفَ أنْ تضْغطَ الأزرارَ التِى لعبتْ بهَا (ساندى) بكلٍ مهَارةٍ وهىَ تشرحُ استعمَالاَتها؟

تفتحُ خزانةَ (ساندى) فلا تجدُ أثوَابًا طويلةً جَميلة.. ولا أحْذِية فضِّية لماعَة.. أو ذهبيَّة برَّاقة. ليسَت إلا أحْذية كتِلْك التى كَانَ يرتديهَا الجنودُ لكنهَا خَفِيفة الوزْن. وليسَ إلاَّ هذِه السرَاويل الضيِّقة مثل التى كَانت النسَاء يرتدينهَا تحتَ الثيَاب. لكنَّ هذِه سَمِيكَة وأكْثر خُشُونة. وكأنهَا منَ الجلدِ أو نسيجِ البُسُط. ثمَّ أينَ علبُ الزينةِ وأوَانى التجْمِيل وزجَاجَاتِ العطْر والمكاحِلِ والأمْشَاط؟ كأنَّ ساندى لا تملكُ شيْئاً منهَا؟ وكَذلك الحلْى.. فلا صندُوقَ للأقراطِ والعقُودِ والأسَاور حتَّى ولوْ كَانتْ مُزَيفَة؟

وساندى هذِه أينَ تستَحِم؟ لا نهرَ هنَا فى هَذِه الحديقَةِ ولا برْكَةَ مَاء.. وأينَ يا ترى تطهُو طعامهَا ولا موَاقِد ولا أفرَان؟ كيف يعيشُ هؤلاءِ الناسُ فى هَذَا الزمَن؟.. لابدَّ أنْ تتعرفَ إليْهم.. وإلى نمطِ حَيَاتِهم.

تطلُّ منَ النافذةِ فترَى علَبًا معْدَنيةً بأشكَال وألوانٍ متعدِّدةٍ، تجْرى بسُرعةٍ فائقَةٍ وفى داخلهَا أشخَاص. رَأت طرقَاتٍ عَرِيضةً وعلى مدَى البصَرِ محفُوفةً بالأشجَار على الطَّرَفين، وفوقهَا أعدادٌ هائلةٌ منَ الأسلاكِ بينهَا

عيونٌ تبثُّ ألواناً حَمْراءَ وخضْرَاءَ وصفْرَاء.. هذا عدَا الأبنيةِ شَاهقَة الارتفَاع ذاتِ نوافذَ كأنهَا ثُقُوب.

هذِه إذنْ ملامحُ المدينةِ التى فيهَا يعيشُون.. ولوْ لمْ يكُن الوقتُ نهَارًا لكانتْ مُضَاءة كمَا رأتهَا أمْس ليلاً عندمَا جاءتْ معَ (ساندى). أما الضَّجِيجُ فهوَ أكبرُ ممَّا تحتَمِلُه.. أينَ هذا الجوُّ الصَّاخبُ منْ هُدوءِ القُرى فى زمَانهَا، وبطْء الحركَةِ فيهَا حتَّى حركَة الناس، فالذين تراهُم منَ النافذةِ كأنما يركُضُون ولا يمشُون مشْيًا.. وبعضهُم يمتطِى أجسَامًا معْدنيةً ذاتَ دواليبٍ تنتقلُ به بخفةٍ مثْل طُيور فزِعَة.

(سندريلاَّ) تخاطبُ نفسهَا: هلْ ستجرؤُ عَلى أنْ تتركَ هذا العشَّ الصَّغيرَ الذِى وضعتهَا فِيه (ساندى) مثْل حَمَامة مقصُوصةِ الجنَاح! وكيفَ تفعلُ وهى بهذِه الثيابِ وهذا المظهَرِ الذِى لمْ تلمحْ شبيهًا له؟.. وبهذا الحذاءِ الصَّغيرِ الصغيرِ ولو كَانَ ذهبيًا؟ لابدَّ إذنْ أن تتشبَّهَ بسَاندى.. وأنْ ترتدِى ثوبًا منْ ثيابهَا.. وخفا منْ هذِه الأخفَافِ المتعدِّدَة.. وأنْ تُرْخِى شعْرهَا.. وتتخلىَّ عنْ زينتهَا وحليهَا حتَّى تكونَ منسجِمَة إلى حَدٍّ ما معَ هذا العالمِ العَجِيب.. ولكنْ إلى أينَ تذْهَب؟ وكيفَ تتوجَّه؟ ومَاذا ستفْعلُ لو نزلتْ إلى هذِه الطرقَاتِ المحفُوفةِ بالمخَاطِر؟.. الخوفُ عندَها يتصارعُ معَ الرغبةِ العارمةِ الجارفةِ في أنْ تعيشَ هذا الزمنَ الخارق.. ثمَّ أنَّ بحثهَا عنْ ذاتٍ جديدَةٍ لهَا، لا تقلُّ سيطَرة عليهَا مِنْ وجودهَا فى الماضِى ذَاته.. أمْ أنهَا لمْ تكنْ موجُودة فعْلاً وإنما اخترعُوهَا منْ مخيلاَتِهِم عزاءً وسَلْوَى.. أملاً وضِيَاء

لمنْ ضاقتْ بهم الحياةُ وأظلمَ أمامهُنَّ القدَرُ؟.. مهْما يكنْ منْ أمرٍ فهى موجُودةٌ فى أذهَانِ الناسِ على الأقل.. وما دامَ الأمرُ كذَلك، فمَا عليهَا إلا أنْ تتابعَ رحلتهَا معَ الزمَن.

(سندريلاٌ).. وبعدَ أنْ ترتدِى ثيابَ (ساندى) وتتزيَّنَ بزيهَا تنكرُ نفسَهَا.. فهى لمْ تعدْ هى.. ينتابهَا إحسَاسٌ بالكآبةِ والضِّيق.. وكأنهَا تنزعُ عنهَا جلدَهَا لتكتسِيَ جِلدًا آخرَ. تنظرُ فى المرآةِ وتقُولُ:

هذِه ساندى أخرَى وليسَتْ سندريلاً. ومعَ كُلِّ هذَا فالتجربةُ تغْرينى بأنْ أستمرَّ فى لعبَتى معَ الزمَن. أليسَت التجاربُ هىَ التِى تصنعُ الأبطالَ والمشاهِيرَ ولوْ غدوا أسَاطِير؟

تتذكرُ أنهَا لو خرجَتْ إلى الطرقَاتِ فسوْفَ تحتاجُ إلىَ نقُود.. تبحثُ هنَا وهنَاك، وفى كلِّ زاويةٍ منْ بيتِ (ساندى) الصَّغِير، فلاَ تعْثر على نقُودٍ لا فضيَّةٍ وَلاَ ذهبيَّة.. بماذَا إذنْ يشترُونَ ويبيعُون؟ وبأىِّ شىءٍ يتعَامَلُون؟ وهَذِه الرقَائقُ البيضاءُ المكدسَةُ والمنقُوشةُ بالحرُوف.. لا شكَّ أنهَا كُتُبُهم.. المقدسَةُ وغيرُ المقدسَة.. كَمْ هى خفيفةُ الحمْل.. وجَمِيلةُ الشكْلِ وخاصَّةً تلكَ المزينةِ بالصُّور والألوَان.

أمَّا هِىَ.. سندريلاَ فلمْ تكنْ متَعَلِّمة.. ما هِىَ إلا فتاةٌ قرويَّةٌ بسِيطة، مَا كانَ لهَا حظٌّ سوَى فى قسطٍ من الجمال.. وشىءٌ منَ البرَاءة.. وكثيرٌ منَ الأنوثةِ الفطْريَة، وقدْ كانتْ سِلاحها فى لقائِهَا الأوْحد والشهير.. مع الأميرِ.

وبما أنهَا وُلِدَت فى يومٍ سَعْد.. ومنْ برْج الحظِّ فقَدْ رعَاهَا نجمُهَا وفتحَ لهَا قلبَ الأمِير.. وأبوابَ السَّعَادةِ فى القصْرِ الكَبِير.

تُرى ما هِيَ سعَادَات (ساندى) التى تأملُ بهَا وترجُوها؟ هل تنتظرُ هى الأخْرَى أميرًا مَا؟

لكن السؤالَ يلحُّ عليهَا.. هل لازالَ فى هذَا الزمنِ أمراءٌ رقِيقُو القلُوبِ يتوجُون حَبيباتِهم على عرْشِ الحبِّ مادامَ كلُّ شيءٍ قدْ تغيَّر؟ يمكنُ أنْ يوجدُ أمرَاء.. فالأمراءُ فى كلِّ زمَان ومَكَان. لعلَّهُم أمَراء المال، أو النفُوذ، أو العلْم، وليسَ بالضرُورةِ أنَّ يكُونُوا أمَرَاءَ بالحكْم.

فهلْ هُم رقيقُو القلُوب يقعُون فى الحب منْ أوَّل نَظْرة.. حبُّ المثال قبلَ حُبِّ الجمَال؟ الحبُّ أبدِى وأزَلى.. إلا أنَّ صورَهُ لابدَّ أنْ تختَلف.. هذَا ممَّا كَانَتْ تعْرِف.. ومَا كَانت ترويه العجَائزُ مِنَ النسَاء.. والحبُّ يصنعُ المعجِزَات.. وهَذا مَا قالتْه لهَا الساحِرةُ ذاتُ العصَا.. أحبُّ الساحِرَاتِ وأطيبهُنَّ قلْبًا.. بلْ ساحرةُ الخيرِ والحبِّ، وإلاَّ لماذا لمْ تعطهَا فرصةَ اللقاءِ بالأميرِ إلا لوقتٍ محدَّدٍ هُوَ منتصَفِ اللَّيْل؟ تلكَ الساعاتِ المعدُودةِ فقطْ إنْ لمْ يكنْ منْ أجْل أنْ يسْتيقظَ سحرُ الحب؟ وفعْلاً فقدِ استَيْقَظ. ورغْمَ أنهَا اختفَت فى اللَّحْظة التِى حددتهَا لهَا السَّاحِرَة، ولمْ يكنْ مِنْ علامَاتٍ تدلُّ عليهَا سِوَى فردَةِ حذائهَا الذَّهَبى، ومعَ ذلك فقدِ اهتدَى الأميرُ إليهَا.. وتزوجَهَا.

تَحـزِمُ (سـندريلاً) أمرَهَـا، وتقـررُ قرارهَـا الحاسِـمَ وَهِـى التِـى لمْ تعـرفْ فِى حياتهَا الحزْم.. ولم تتخِذْ أىَّ قَرار بل السَّاحِرة هـى التـى حزمَـت لهَـا أمرهَـا عندمَـا سهَّلت عليـها ذهابــهَا إلى الحفْـل المِلكــى.. والأمــيرُ هــو الذِى قررَ الزواجَ منهَا. وبعدَ ذلَك لا تعرِفُ كيفَ عَاشَت، ولا إنْ كـانتْ قـدْ مَاتَتْ أمْ لاَ ؟!

قَبْلَ أن تغادِرَ (سندريلاً) بيتَ (ساندى) تسْألُ نفسهَا: أينَ المفتَاحُ؟ وهلْ سأترُكُ لهَا البابَ مفْتُوحًا كمَا كنَّا نفعَلُ فـى بيُـوتِ القرْيـة! لكـنَّ الجـوابَ جاءهَا عندمَا لمحتْ مِفتَاحًا صغِيرًا كحبةِ البندقِ معلَّقًا فـى سلسلَةٍ معْدنيـةٍ ورَاءَ البَاب. أيـنَ منـه تلـكَ المفـاتيحِ الضَّخْمـةِ التـى كـانتْ تُرْبـطُ بسلاسِـلَ غَلِيظةٍ، غَالبًا ما كانَ يعلُوهَا الصَّدأ؟

تهبطُ درجاتِ السلَّمِ الناعمَة المصقولَة التى تتلامـعُ كالمرَايـا بحـذرٍ خَوْفًـا منْ أنْ تنزَلق.. وللحْظةٍ تجدُ نفسهَا قدْ توقفَـت لتنظرَ إلى نفسِـهَا فـى مـرآةٍ كبيرةٍ معلقةٍ وراءَ البابِ الخارجى. ما أروعَ هذِه المرآة.. لابدَّ أنهُم أتـوْا بـهَا منْ قصْرٍ فخْمٍ منْ ذاك الذى كانُوا يسمُّونه قصْر «سـندريلاً».. إذنْ.. فـهؤُلاء الناسُ يتمتعُون بمزايَـا القصـور، وإنْ كـانُوا يعيشُـون فـى بيُـوتٍ كـالعُلب، وأبنيةٍ كَالأبراج. وهَا هِى الحدائقُ المنسَّقة الجمِيلةُ التى تفيضُ بأنواعِ الورُودِ تؤكدُ ذلك.

و (سندريلاً) فى بحْر تساؤلاتهَا هذِه تفاجَأ بساندى التى تمر بسُرعةٍ منْ جانبهَا وكأنهَا لمْ تعْرفها. ثمَّ تعُودُ فورًا وتصْرُخ:

سندريلاً.. ماذا فعلْتِ بنفسِكِ؟ وإلى أين أنتِ ذاهِبة؟ تضحَكُ (سندريلا) لأولِ مرةٍ منذُ لقائهَا بساندى وتقُول:

- رَائعٌ أنكِ عرَفتنى.. ثمَّ أننى فكرتُ أنْ أكتشفَ عَالمكُم وأعِيشُ فيه ولَوْ لفترةٍ محدُودَةٍ.

- كيفَ - تقُولُ ساندى - وأنتَ لاَ تعرِفينه؟! أقصدُ أننِى شرحتُ لكِ بالأمسِ عنْ عَالمنا.. لكنَّ المعرفةَ المجردَةَ شيءٌ وممارسَة الواقعِ شيءٌ آخَر. أنتِ تحتَاجِين إلى تدْريب.. أو عَلى الأقلِّ إلى مَنْ يُرَافقكِ ويدُلك.. ويأخذُ بيدِك.

- حَسَنًا.. تقولُ سندريلاً - لِمَ لا تفعَلينَ أنتِ ذَلِكَ؟

تطرُقُ (ساندى) مفكِّرة.. وهى تحاولُ أنْ تعيدَهَا إلى البيتِ بينمَا (سندريلاً) مسَمَّرة فى مكانِهَا كالصنَم، ثمَّ تقولُ:

- سآخذكِ إلى حيثُ تشَائين.. ولوْ أنَّ وقْتى ضيِّق. ماذا تُريدِين أنْ ترى؟

- أريدُ أنْ أرَى ملامحَ عَالمكم - تقولُ سندريلاً.

- لكنَّ عالمنَا واسعٌ جدًّا.. أوسعُ مما يمكنُ أنْ تتصوَّرى.. وأجزاؤه كلُّها أصبحَت مُرْتبطة بعضُهَا ببعْض.. إنه الكوكَبُ الأرْضى بأسْرِه.

- وهَلْ هو متَشَابه فى أجزَائه؟

– إلى حدٍّ مَا. – تقولُساندى – إنه يختلفُ فى درجَاتـه فقـط، فـهنَاكَ أجزاءٌ متقدمَةٌ جدا، وأخْرى فى حدُوِ الوسَطَ، وثالثةٌ لا تزالُ كمَا كانتْ فى قرُونٍ مضَت. لكنْ سمَاتٌ عامةٌ تجمعُــهَا كاستعْمَالِ بعـضِ أدواتِ الحضَـارةِ أوْ أساليبِ البناءِ أو أنماطِ الأزيَاء.

– إذن.. – تقولُ سندريلاً – أطلعِينى على أىِّ بقعَةٍ تختارينهَا.. ولوقْتٍ قصيرٍ فأنَا رغمَ تلهُّفِى الكَبيرِ، وحمَاسِتى الفَائقةِ أشعُرُ أننِى متْعَبة.

وَفـى شـوَارعِ مزدَحِمَـة بالنـاسِ كـانتْ (سـندريلاً) تـترنحُ وهِـىَ مُتَعَلقَـة بـذرَاع (سـاندى)، وكأنـهَا تريـدُ أنْ تتلبسـهَا أو تختَفِـى وراءهَـا.. لم تكـنْ تنطقُ بحرْفٍ بـلْ كـانتْ تتفـرجُ فقـط؛ تتفـرجُ وهـى مَذْهُولـة.. و (سـاندى) تتكلَّم.. وكأنـهَا تتكلـمُ مـع نفسِـهَا حتَّـى أنَّ بعـضَ المـارَّةِ كَـانُوا ينظُــرُون إليهَا مُسْتَغْربين.

وفى شَارعَ طافحٍ بالبهْجةِ والأضوَاء، حيثُ المحلاتِ التجَاريـة الضخمَـةِ ذاتِ الواجهَاتِ المتلألئةِ بالأنوارِ والزينَـات.. والمقـاهِى الأنيقَـةِ.. والمطـاعمِ رفيعَة المستوَى.. ودُور السينمَا واللَّهْو، كـانتْ (سـندريلاً) وكأنـهَا غَائِبـة.. تلتصـقُ بسـاندى كمَـا لـوْ أنـهَا تنكمِـشُ وتـذُوب.. و (ســاندى) لا تنتظِـرُ أسئِلَتها.. ولا تراقبُ ردُودَ أفعالهَا، بل هى تتحدَّثُ وتشـرحُ وكأنـهَا دَليلـةٌ سيَاحيَّة أمِينَة، ودَقِيقَة، ومدَافِعَـة متحمِّسَـة ليـسَ عمَّـا تمـرُّ بـه مـنْ معـالمَ حضَاريةٍ حديثةٍ بلْ عن الحضارةِ الحَديثةِ برمتهَا.. وفجَأةً شعرَتْ (ساندى) بالتعَبِ وبمرُور الوقتِ فسألتْ (سندريلاً):

– هلْ أنتِ سَعِيدة يا سندريلاً؟

وتردُّ (سندريلاً) بصوْتٍ خافتٍ يكادُ لاَ يسمَع:

– لا أدرى إنْ كنتُ سَعِيدة أم لا.. كانَ علىّ أنْ أسألكِ أنتِ.. فهذَا عصْرك.. وهذِه ينابيعُ سعَاداتك فمَاذا تَقُولين؟

شعرتْ (ساندى) بالارتباكِ فهىَ لمْ تفكرْ مرةً بأنْ تسألَ نفسهَا هذَا السؤال: هَلْ هِىَ سعيدةٌ بهذِه المنجزَاتِ الحضَارية أمْ لاَ؟.. كلُّ ما تعرفُه أنه زمنهَا وكَفَى.. ولكلِّ زمن إيجَابياته وسلْبيَّاته. وبما أنهَا مشْغُولة باستمْرَار، وطموحاتهَا تدفعهَا نحوَ المستقبلِ أكثرَ مماً تربطهَا بالحاضِرِ فهى تشعُر بالسعَادة حتَّى ولوْ كانتْ مُثْقلة بالمصَاعِب والمتَاعِب.. مصَاعِب حَيَاتية.. ومتاعبَ مَادية.

– ماذا تظُنين يا سندريلاً.. – تقولُ ساندى – ألستِ سَعيدة؟

– أظنُّ أنَّ كلَّ إنسَان عَلى هذا الكوكَبِ هو أسيرُ زَمَنه. – تقولُ سندريلاً – الزمنُ هو سيدُ المواقِفِ جَمِيعًا.. وأهمُّهَا ساعةُ الولاَدة، والأخرَى ساعةُ الموْت.. ومَا بينهُمَا مما لا يحْصَى منَ المواقِفِ يتحكَّمُ فيهَا الزمنُ بالطبْع. لأن الزمنَ ليسَ زَمَنُ أحَد.. بل زمنُ كلِّ أحَد.. أو تلكَ الشبَكَة الهائلةِ منَ الأفرادِ الذِين يتواجدُون فى مكَانٍ مُعين وفترةٍ معَينة. صحيحٌ أنَّ بينهُم الداخِلين بالولاَدة والمنسَحِبين بالموْت، لكنَّ الأحكَامَ العَامة تظلُّ متشابهَة إنْ لمْ نقلْ واحِدَة. هلْ هِىَ محسُوبة بالعُقودِ منَ السنينَ أوْ ما يسمُّونه الأجيَال أمْ بالقرون؟ ربما.. لكِنَّ هناكَ صفحاتٌ لسجِل الزمن

تكونُ جَدِيدة تمامًا.. تلكَ التى تتركُ علامَاتٍ عَلى التاريخِ ويعتبرونَها فَاصِلةً أو حَاسِمَة.

- هذا صحيح.. صحيح تمامًا. - تقولُ ساندى - أرأيتِ يا سندريلاَّ الفارقَ بينِى وبينَك؟ أنتِ تملكِينَ لحكمةَ والفلسَفة، وتقطفِين ثمارَ التأمُّل. أما أنا فليسَ لدىَّ الوقتَ للتأمُّل، واسْتنباط الحقَائق الأَزَلية. أنَا ابنةُ عصْرى كما قلتُ لَكِ.. مشْغُولة بنفسِى.. حتَّى عنْ نفسِى فيمَا عدَا عمَلى وطُمُوحى. أكثرنَا فى هذَا الزمنِ هَكَذا.. أم أنَّ الإحسَاسَ بالزمنِ لديْنا مختلِفٌ عنْكُم؟

(سندريلاَّ) تقولُ بشبهِ إعيَاء:

- أنتُم لا تعيشُونَ حياةً واحِدَةً.. بَلْ نماذجَ متَرَاكِبَةً منَ الحيَاة.. حيَاتكُم عبءٌ ثقِيلٌ لكنكُم لا تشعُرُونَ به لأنكُم اعتدتُم عليه.

- هَذَا صحِيحٌ أيضًا. - تقولُ ساندى - والآن مَا رأيكِ فى أنْ نعودَ لتستريحِى؟

أراكِ متعبَةً. ولكنْ هلْ تسمَحِين لى بدقَائقَ معْدُودة فقط لنمرَّ عَلى شركَةِ الطيرَان لاستلِمَ بطاقةَ السَّفَر؟

- ومَا الطيَران؟ وكيف هذَا السَّفر؟ - تسألُ سندريلاَّ.

تشرحُ (ساندى) باختصَار ظاهرةَ السفرِ بالطائرَات الآن، وكيفَ أنهَا كالقوَافِلِ فى زمَن مَضَى.. وكيفَ أنهَا أسرعُ بكثيرٍ منَ السيَّارات.. ونسبتها تفوقُ نسبَةَ الجمالِ إلى الجيادِ السريعَةِ الأصِيلة.

وفجْأةً تلمَحُ فكرةُ في ذهْنِ (ساندى).. لماذا لا تأخُذُ (سندريلاً) معهَا فِي الرحْلةِ للاستجمَامِ والراحَةِ قبلَ أنْ يبدأ برنامجُ التدريباتِ النهَائيةِ لمرْكَبةِ الفضَاء..؟

تسألُ (سندريلاً) بخجَل:

– ومنْ سيقودُ هذِه الطائِرَة؟ أنت؟ وهلْ سنكونُ وحدنَا أنتِ وأنا؟

تضحكُ (ساندى) وتقولُ:

– أنا أعرفُ قيادةَ الطائِرَة.. لكنّ رحْلتنَا هذِه هيَ رحْلَةٌ عامةٌ تنظمهَا شركَة.. هناكَ قائدٌ للطائِرَة، وطَاقمٌ كاملٌ منْ مسَاعِدِين، ومهنْدِسين ومشْرفين، وكذلِكَ مِنْ مُضِيفَاتٍ ومُضِيفين.

ويبدُو هذا صَعْبًا عَلى فهْم (سندريلاً).. أو تصورهَا، لكنهَا تصمُتُ، فهىَ تَتُوقُ فِي أعمَاقهَا إلى مثْلِ هَذِه الرحْلة.

تقولُ (ساندى):

– رحلتنَا ستكُونُ إلى منْطقةٍ دَافئةٍ شتَاء، هى ولاَية فُلُوريدَا فى أميركا.. هناكَ حيثُ مَدِينة كامِلة للمَلاَهى والألعَابِ يقصدهَا الكبارُ، كمَا الصِّغار اسمهَا (عالم ديزنى) نسبةً إلى مؤسسهَا الأول (والت ديزنى). إنهَا تفوقُ الوصْف.. وفيهَا قصْرٌ باسمِك يا سندريلاً. تجيبُ (سندريلاً) وهى فى غايةِ الدهْشة:

– قَصْرٌ باسمى؟ ولماذا؟

– لِمَ استغْربتِ؟ – تقولُ ساندى – ألستِ سندريلاً الأسطُورة وسندريلاً الحلْم.. وسندريلاً الفرح والخيالُ وخاصَّةً للصِّغار؟

تنثنِى سندريلاً تعَبًا.. تكادُ تَقَعِ.. وتسقطُ عَلى الأرضِ محفَظة (ساندى) وكتبهَا وأوراقهَا.. تجمعُهَا بسرْعةٍ ثـمَّ تستوْقِفُ سيَّارةَ أجْـرة لتوصلـهَا إلى البيتِ وهِيَ تقُولُ لسندريلاً:

– لا يهُم أنْ نذْهَب إلى شـركَة الطـيران.. لا يـهُم. سَأرتبُ كـلَّ الأمـور هَاتِفِيًّا. المهمُّ أننَا لمْ نخْسِر الجولةَ لا أنتِ ولاَ أنا.

عنـدَ بـابِ البيـتِ تكتشـفُ (سـاندى) أنـهَا أضـاعَتْ مفتاحَـهَا، لكـنْ (سندريلاً) تمدُّ يدهَا الشاحبَةَ الهشَّةَ كعنقُـودٍ مـنَ الثلْـج وتُعطيـهَا المفتـاحَ، فتقولُ (ساندى) ضَاحِكَةً:

– هَـذَا لا شـكَّ سِـحْر.. كيـفَ عـثُرت عليْـه؟ هـلْ سـقطَ منِّـى هُنَـاك واسْتطاعتْ أنْ تأتِيَ به بهذِهِ السُّرعة؟

تجيبُ (سندريلاً) بابتسَامةٍ شاحبَةٍ:

أراكَ بدأتِ تُؤْمنينَ بالسِّحْر.. لاَ.. لا سحْرَ ولا شيْءَ مِنْ ذلك، كلُّ ما فِي الأمرِ أننِى أخذتُ المفتاحَ معِى قبلَ أنْ أغلقَ البابَ؟

تقولُ (ساندى):

أنتِ التى أخذْتِهِ أمْ أنا؟

تقولُ (سندريلاً):

لا فرْق.. ألسْنَا واحِدَةً أنت وأنَا؟

* * *

الفصل الرابع

أحلام سندريلا المحطمة

فى أعَالى الفضَاء.. كانتْ كُلٌّ مِنْ (سندريلاً) و (ساندى) تعيشُ أحلامــهَا الخاصَّة.. وارتعَاشــاتهَا الخاصَّــة. (ســاندى) تحلُـم برحْلتــهَا المسـتَقْبَليَّةِ إلى الفضَاء.. وتجدُ سفرهَا فــى هــذِه الطَّـائِرة لعبَــة طفُوليــة، بالقيــاسِ إلى ذلِـكَ الصَّارُوخ الجبَّــار الـذِى ســينطلِقُ بالمرْكَبــة الفضَائيــة بتلـكَ السُّـرعةِ الهائلـةِ فيخــترقُ الغـلافَ الجــوِّى، ليسـبحَ فــى الفضَــاء فــى مـدَاره الخَــاص.. فــى هـدُوءٍ وصمــتٍ لا يعرفــهمَا إلا أولئـكَ الـروادُ الذِيـن كـانُوا محظوظِـين بــهذِه المهمَّةِ النَّادِرَة.

أيامٌ للراحَةِ والفرحِ والاستجْمَام، وتعودُ مشحُونةً بطاقةٍ إيجابيَّــةٍ إضَافيَّــةٍ لتخُوضَ تجربة حياتهَا.. ياه.. كـمْ سـتكونُ سَعِيدة.. هـلْ هُنـاك مـنْ هِـىَ أسعَدُ منْها؟

لا تتصورُ ذلك، فالسعَادةُ هى تحقيقُ الذَّات.. وذاتهَا لنْ تتحقــقَ إلا فــى هذَا المجَالِ مجَال الفضَاء. تنظرُ إلى مساحَاتِ الأَراضِى الشاسعَةِ الخضْــرَاء.. وإلى قمَمِ الجبالِ الثَّلْجِية.. وكأنهَا تطيرُ لأولِ مرَّة. فرحٌ غامِضٌ يغمرهَا عندمَا تلمحُ صفحةَ المحِيطِ الأَزْرق وهىَ تتلألأُ منْ بينِ الغيُوم. تنظُر إلى (سندريلاً)



إلى جَانبها فتجدهَا منكمشةً علىَ ذاتِهَا.. شَاحِبةً ورقيقةً مثْل غيمَةٍ وعينَاهَـا مسَافرتان ورَاء الأفُق.

– مَاذا يا سندريلاًّ؟ تقولُ سـاندى – أراكِ غـيْر سَعِيدة بـهذِه الرحْلـة.. مَا الأمْر؟ ها نحْن نقطعُ المحيطَ لنصِلَ إلى شوَاطئ فلوريدا الرائعَة، أقلَّ مـنْ سَاعةٍ ونصِل.

– ماذا تقُولين؟ تهتفُ سندريلاً – هَل الطائِرَةُ تقطعُ المحيطَ الآن؟ وهـلْ حطّمت كلَّ تلكَ المسافةِ البعيدةِ فى هذِه السَّاعاتِ القَلِيلَة؟

– طَبْعًا.. طبْعًا.. يا سندريلاً.. لقدْ شرحتُ لك، مـدَى سُرْعة الطـائرة، ومدَى ارتفاعهَا عنِ الأرْض.. ولكنْ أنتِ بالذاتِ معَك حق أن تتعجَّبى حتَّى الدهْشة. المهمُّ ألا تكُونى خَائِفة؟

– لا.. تقولُ سندريلاً – لستُ خائفةً، لكنّى أشعرُ برغبةٍ جارفَةٍ فـى أنْ أخرجَ منْ إحْدى هذِه النوافِذِ لأتبددَ فِى الأثِير.. أو لأَسقطَ فـوقَ هـذِه الغيـومِ فأتوحَّدَ معَهَا.

(ساندى) تردُّ ضَاحِكَةً:

– وينظرُ إليكِ الأطفالُ عندمَا يريدُون أنْ يتسلُّوا.. فيشكلُوا صورةَ وجهكِ الجميلِ منْ جديدٍ، كمَا يفعلُون عـادةً عندمَـا ينظـرُون إلى الغُيُـومِ.. أم أنـكِ لا ترِيدِين أنْ يراكِ أحدٌ سِوَاى؟

تقولُ (سندريلاً) بحزْنٍ:

– يبدُو أنَّ كلَّ أحدٍ يتخيَّلُني كمَا يُريد.. ويشكلُ ملاَمِحِي وهيئَتِي بالصُّورةِ التى تعجِبُه.. أليْسَت الأساطيرُ كذَلك؟

وتبدُو المناظرُ خلابةً عندمَا تنسابُ الطائرةُ منْ علُو أقلّ مما كانتْ عليْه فوقَ الشواطئِ السَّاحِرة.. فتلتصِقُ سندريلاً بساندى ويقتربُ الوجهَان وكأنهمَا وجهٌ واحدٌ منْ زجاجِ النافِذَة..

تقولُ (ساندى) وهى ترى علامَاتِ الاستغرَابِ والدهْشة تنطقُ بهَا ملامحُ (سندريلاً):

– هذهِ أجملُ شواطئِ العالم.. وامدُن فيها هىَ الأرْقى.. وسكانهَا هُم الأكثرُ ثراءً ورفاهيَةً. هذِه هىَ الشاليهَات، والمنتجعَات، والفنادقُ الكُبرى، وأماكنُ النزهةِ والتسْلية.

– وهلْ هذِه هىَ البيُوت؟ تسألُ سندريلاً – تبدُو وكأنهَا صنَاديق سحْرية من عَالمٍ خُرَافى. كمْ هىَ جميلةٌ بألوانهَا البيضَاء وسطوحِهَا الحمْراء، وهى مزرُوعَةٌ فى قلْبِ الغَابات.. ثم هَذِه الراكبُ المتقَافِزة فوقَ مياهِ الشوَاطئ مثْل طيور مَائية.. وتلكَ أليسَتْ سُفُنًا؟ كمْ هِىَ ضخمةٌ وسَرِيعَة.

فجأةً تصرُخُ (ساندى):

هَا قدْ وصَلْنا.. هَا قدْ وصلْنَا إلىَ أورْلاَندو.. مِنْ هنَا تسْتطيعِينَ أنْ ترى ملاَمِحَ (عالم ديزنى).. وخاصَّة ذلِكَ القصْر البديعُ الذِى هو قصْرك.. أى قصْر سندريلاً.

تبدُو (سندريلاً) مرتجفةً وخَائفــةً، وعيناهَــا زائغَتَــان كأنــهَا علــى وشَـكِ الإغْمَاء، فقد أدركَت مَا معْنَى أنهُم وصَلُوا لأنَّ هذا سيعرضُهَا إلى مثْـلِ تلْـكَ المحنْــة التِــى قاسـتهَا عنْـد إقـلاَع الطَّـائرة مـنْ أصـوَاتٍ مدويــةٍ مُخِيفَـــة.. وارتجاجَاتٍ كأنَّ الأرضَ تزعزعُ هذا الطائرَ المعدَنى الخرَافى الذِى يختبئــون فى جَوْفه.. أو كأنَّ قوةً منَ السمَاء تطرحُه أرضًا ليلفظَ أنفاسَه.

تقولُ (ساندى):

- مَا رأيكِ يا سندريلاً أننِى حجزْتُ فى فُنْدقٍ فى قلــبِ (عـالم ديزنــى) وهكَذا تعِيشِين فى عَالمكِ أسطُورةً داخِلَ أسطُورةً.

* * *

(ساندى) تقُولُ لنفسِهَا: لابدَّ أنْ أسْتريحَ أنا أولاً هَذِه اللَّيلة.. ثمَّ إنَّ عَلَىَّ أنْ أجعلَ (سندريلا) تدخلُ فى هــذا العـالمِ السـاحرِ تدْريجيًـا. إنْ تشرَّبَت هذِه الكأسَ دفعةً واحِدَة.. كأسَ الجمَال المخدر قَوى المفعُول بالنســبةِ إليــهَا فلربما تترنحُ سَكْرَى.. أو يُقضَى عليهَا مَنْ يدْرى؟.. ثـمَّ إنــه لابـدَّ مـنْ فـترةٍ تمهِيدِيَّــة أولاً حتَّــى تلتقِـطَ هــذِه المسـكِينةُ أنفاسَــهَا.. ليـــسَ أمرهَــا هينًــا ولا يسِيرًا..

تقولُ لسندريلاً وكأنها كانتْ تشاركهَا أفكارهَا:

- إذنْ نستَريح بقيةَ اليومِ فى هذا الفندقِ الصَّغـيرِ السـاحِر.. ثـم ننطلـقُ فى المسَاء.

ولمْ تمانعْ سندريلاً بالطَّبْع.. فقدْ بـدَت أكـثرَ نُحُـولاً.. وكأنـهَا بمقيـاس عصْرِنا منومَةً تنويمًا مغْنَاطِيسِيًّا. استلْقتْ فوقَ سرير فـي غرفـةٍ مصمَّمَـةٍ مـنْ قصة (ثليجة البيضاء) في الغَابة.. صَغِيرة مثْل غرفةِ أقزَام.. وكلُّ مَا حولهَا مبـهجٌ وجَمِيـل.. والإضـاءةُ قنَاديل.. والطاولـةُ قطعـةُ خشَـب.. والكرَاسـى بلا مسَاند.. وأزرارٌ مبثُوثةٌ هنَا وهناكَ لتلبيةِ الطلَبات.

وهكذا جَاءُوا لهُم بالقهْوة في أباريقَ شـفَّافةٍ مـنَ البلاَسْـتيك.. وبصِينيـة على شكْل بحَـيْرة تزيـنُ أطرافـهَا رُءُوسُ البجَـع الأبيـض مـنَ البورْسـلين.. أمَّا الطعامُ فقَدْ كانَ في طبق يحتضِنُه شكلٌ مضخَّـمٌ للفـأر الشـهير (ميكـى). وشهقَت سندريلاً أولَ مرَّةٍ وكأنهَا فزِعَة.. أما (ساندى) فصفقَت ضَاحِكة:

– مَاذَا يا سندريلاً.. ألا يعجُبُكِ كلُّ هـذا، نحـنُ فِـي عَـالَم الأسَـاطير.. وكلُّ شيءٍ مستوحَى ومستمدٌ منْ هذِه الأسَاطير. هـل تعرفـين قصَّـة (ثليجـة البيضـاء والأقـزَام السبْعة)؟.. ألمْ تسمَعى بالبجَعَـات اللاتـــى تحوَّلــن إلى رَاقصَات؟ ألمْ تصلكِ قصَّــة (ذات القبعَـة الحمْـراء) والأخـرَى (ذات الحـذاءِ الأحْمر)، وقصَّة (الأمير السعيد)؟

– كفَى.. كفَى.. تقول سندريلاً – ما أكثرَ أسَاطيركم وحكَايَـاتكم، بـهذَا تجعَلينني رقمًا من الأرقَامِ بينَ هذِه الأسَاطِير والحكَايات.

– هذا صَحِيح.. – تقولُ ساندى – فلكُل شـعْبٍ مـنَ الشـعُوبِ حكَايَاتـه وأسَاطِيره.. وهى لنصغَار في الكتبِ الملَوَّنــة، والألعَـاب، والدمَـى ربمـا فـى المسَارح أو مُدُنِ الملاهى.. لكنكِ أنتِ ميرَة الأسَاطير.. وستظَلين كذَلك.

معَ مسَاءٍ وردى بدأت تنبضُ فيــه ألُوفُ الأضْـوَاء مثْـل نُجُـومٍ سَـاطِعَة، كانتْ (سندريلاً) مبْهُورة لا تعرِفُ هَلْ هِىَ فى صُبْحٍ كالمعْجِزة، أم أنهَا فــى بقْعَة مِنَ الجنُّة؟

وتقُولُ لساندى:

كأنَّ أنوارَ هذا الصبَاح الإلهى أشبَه بالشَّــفَق. انظُـرِى إلى نـهَايَاتِ الأفُـق يا سَاندى.. أشعرُ أننِى فى كَوْكَبٍ غيرِ الأرْض.

تضحَكُ (ساندى) وهى تزيحُ الستائرَ عَنِ النوافِذِ العريضَة، وتقُول:

– ومنْ قالَ لَكِ أنه الصبَـاح؟ إنـهُ المسَـاء يـا عزيزَتـى سندريلاً.. الفـترةُ الذهبية لانطلاقِ ألُوفِ الناسِ إلى (عالم ديزنـى) لينعمُـوا مـعَ أطفالِـهم بكُـل ما هوَ جَميلٌ وَرَائِع.. وهذِه الأضوَاءُ كالنجومِ هى لعشرَاتٍ بل مَئاتِ وسـائِلِ اللهوِ واللعبِ والتسْلية.. والليلُ هنـا أسـطعُ مـنَ النـهَار.. وإذا كـانَ النـهارُ يملكُ شمْسًا واحدَة فلهَذا الليلِ ألفُ شمْسٍ وقمَرٍ ونَجْمٍ أيضًا.. هَذِه هى وردَةٌ مِنْ حدائقِ حضارتِنَا الفائِقَة.. أليسَ مـنْ حَـق النـاسِ الذِيـنَ يصنعُـونَ هـذِه الحضَارة، ويتعبونَ فى سَبِيلها أجسَامًا وعقُولاً، أن يتمتعُوا بهَا وأن يزيدُوهَا يومًا بعدَ يومٍ تألُّقًا وجَمَالاً؟ والبشرُ لا يعملُون دونَ حَوَافِز.. وجوَائِز. الحوافزُ للكبَار.. أما الصغارُ فهُم يأخذُون جوائزَهُم سَلَفًا حتَّى تكونَ محْورًا لأمَانِيــهم وأحْلاَمِـهم، وطمُوحَاتـهم فيمَـا بعْـد. ثـمَّ أليْـسَ الخيــالُ أسـاسَ الإبـدَاع والاختِرَاع؟ وهذِه المدينةُ يا سندريلاً هِىَ مدينةُ الخيَال.

تظلُّ سندريلاً مُسَمرة أمامَ المشْهد.. مشهَدُ مدينةُ الأضوَاء، والقصْرُ الساحرُ وكأنه معلّق فوقَ قمَّةٍ شَاهِقَة، والذِى قَالت عنْه (ساندى) إنَّه قصْرُ (سندريلاً).

وتقُولُ (ساندى):

- خُذِى هذِه الإعلاَنَاتِ والدعَايات وانظُرِى إليهَا. وأقرئِى فيهَا.. آه.. نسيتُ أنكِ لا تعرفِين القِرَاءَة. يمكنُ أنْ تلِقىَ عليهَا نظرةً اطلاعٍ ريثمَا نخرُجُ معًا.

(سندريلاً) لا تعيرُ الأوراقَ التى أمامهَا أىَّ اهتمَام، بلْ تقُولُ بصوْتٍ مُرْتعِش:

- هلْ أنتِ متَأكدَة أنَّ هذا قصْر سندريلاً؟ يبدُو لى منَ النافذَةِ وكأنه معْبَدٌ مقَدَّس. (ساندى) تقولُ عَلى عجَل:

- أنا متأكدَة تمامًا. هيَّا. لابد أنْ آخذ مَعِى كَامِيرَا للتصْوِير، وأخْرى لفيلْم تلفزيونى.. منْ سيصَدقنى أنَّ رَفيقَتِى فى هذِه الرحْلة كانتْ سندريلاً نفسهَا؟

* * *

فى عَالَم ديزنى كانتْ (ساندى) تتحدَّث.. وتتحَدث.. تشرحُ ثم تشرَح.. وتشيرُ بيديهَا وعينيهَا.

– مِنْ أينَ تُرِيدين أنْ نبدأ يا سندريلاً؟ انظُرِى هذا قصْرك.. وزِيَارته هى الهدِية الثمِينة فى نهَايةِ الجوْلة. تقولُ ساندى وهى تمسِكُ بيدِ سـندريلاً – هنا يسْكُنُ عَالم سَاحِر متخيل لنجُوم السماءِ وكواكبِ الكوْن.. والترحَال فِيه ليسَ أكثرَ منْ جلُوسٍ مريح فى كرسى وَاسِعٍ فسِيحٍ، يحملُنَا كطائرٍ مجْـهُولٍ يتقافزُ فوقَ الكواكبِ والنجُوم.

تندفِعُ (ساندى) نحوَ بابٍ واسعٍ، علقتْ فوْقَه أحرفٌ مُضِيئة.. تقرؤُهـا: «رحلَة فى الفضَاء»، تضحَك (ساندى) وتقُول:

الرحْلة الحلْم.. ولوْ أنَّ حلْمى الفضَائى سيغدُو حقيقَةً لكنْ لا مانعَ عنْدى منْ أنْ أدخلَ هَذَا المكانَ واستمْتعَ بشُرُوطِ اللعبةِ ككُل زوَّار هذِه المدِينة.. هيَّا يا سندريلاً.

تترددُ (سندريلاً).. وبـينَ لهفْـة (سـاندى) واندفاعتـهَا تجـدُ (سـندريلاً) نفسَهَا وقدْ جَلَسَت فِى عَرَبَةٍ صَغِيرةٍ مسْتَقلةٍ تضمُّها و (سـاندى)، وحولهُمَـا عشَراتِ العربَاتِ المشابهَة، وكلٌ منهَا تحتوى شخْصًا أو اثنين.

ومَا هىَ إلاً لحظَات وتنطلقُ العربةُ الصَّغيرةُ بهمَا فى ظَلامٍ حَـلَّ فجْـأة.. وبسُرعةٍ فائقَةٍ تركضُ العَرَبة.. وبجنُون أكبَر، تنحَرفُ تارةً يمينًا، وأخْـرى شمَالاً، ومرةً صُعُودًا، وأخرَى هبُوطًا، وقدْ كَسَر الظلامُ بريقَ أضـوَاءٍ مختلفـةٍ منْ فوقهِمَا ومنْ تحتهِمَا، ومنْ كُلِّ الزوَايا كأنهَا نُجومُ فِعْلاً.

تزعقُ (سندريلاً).. تغمضُ عينيهَا.. وتتشَـبَّثُ بسَـاندى التـى اسـتنفَرت بدورهَا كلَّ قواهَا العضَليَّة، لتتشَبَّثَ هى الأُخْرَى بمقعَدِهَا الذِى يتأرجَحُ فى

الهوَاءِ، كأنه كُرَة تتقاذفهَا يدُ بهلَوَان بَارع.. ساندى تضحَك، وتصرخُ كلمَـا هَوَت العربةُ مسْرِعَة.. وأحيَانًا تمدُّ يدهَا لتقطفَ نجمةً كأنهَا فى متنَاولهَا.

(سندريلاً) تغِيبُ فى شبْه إغْمَاءة..

وعندمَا تنتَهى الرحْلَة، وتصِلُ العربةُ إلىَ نقطةِ النهَاية، تهبطُ (سـاندى) وهى تلهَثُ منَ الجهدِ والإثارة.. وتتوجَّه نحوَ بـابِ الخـرُوج، بينمَـا تبدُو (سندريلاً) بجانبهَا وقد انخطـفَ لِونـهَا وشَحِب، وزاغَـت عيناهَـا دهشَـةً مما رأتْ وشعرَتْ فى تلكَ المغامرةِ الجنُونية.

(ساندى) تقولُ وهى تنظرُ إلى سَاعةِ يدهَا:

أسْرِعى يا سندريلاً.. الوقتُ يمضى بسُرعَةٍ، وهناك الكثيرُ لتريه.

(سندريلاً) تصْمُت.. وتسـحَبُ رجْليـهَا وجسـمهَا الرقيـقَ سـحْبًا، وهـى تسِير ورَاءَ (سـاندى) التـى بـدَت فـى غَايـةِ نشـاطهَا واندفَاعِــهَا. تمشِــى (ساندى) بضْـعَ خطـوَاتٍ، ومـا تلبــثُ أن تـهرعُ كسـهْمٍ نَـارى نحـوَ مكَـانٍ فسِيح، حيثُ وقفَ أناسٌ كثيرُونَ فى صَفٍّ مُنْتظِـم.. تنـدسُّ (سـاندى) فـى الصَّفِّ، وتأخذُ (سندريلاً) دورهَا إلى جانبِ (ساندى) بهدُوءٍ وصَمْت.

دقائقُ وينفتحُ بابٌ كبـيرٌ يدخُـل منْـهُ الجميـعُ بانتظَـام ودُونَ ضَجِيـج.. تسـتقبلُهُم شاشـاتٌ كبـيرةٌ تعـرضُ صُـوَرًا مختلفـةً لحرَائِــقَ، وفيضَانــاتٍ، وزلاَزلَ، وانهيَارَاتٍ.

(ساندى) تقُولُ:

– استعِدِّى يا سندريلاً سوْفَ نخُوضُ الآن تجْربةً فريدةً منْ نوعهَا.

تبدُو (سندريلاً) شَـاحِبةً وكأنـهَا لا تسـمعُ شيئاً مما تَقُولُـه (سـاندى). وعندمَا تستقبلاَن مَعَ الجمُوعِ الكَثيرةِ عربةَ (مترو)، تسـألُ (سـندريلاً) وقـدْ خرجَت فجأةً مِنْ ذُهُولهاَ، وهِيَ تَرَى نفسهَا تجلسُ وبجانبهَا أطفالٌ مِنْ كُلِّ الأعمَار، ورجالٌ ونساءُ أيضًا:

أينَ نحْنُ الآن.. ومَا هِذِه العربةُ الكَبيرةُ التِى تقلُّنَا؟

تضحَكُ (ساندى) وتجيبُ:

– هَا هِيَ العربةُ تمشِى بنَا.. انتظِرى قَلِيلاً..

ينطلِقُ قطارُ (المترو) ببْطء، ومـا تلبَـثُ سرعتُه أنْ تـزدَاد.. و (سـندريلاً) حَائِرَة.. ومَا هِيَ إلاَّ مسافةٌ قليلةٌ حتَّى تسمعَ صفَّاراتِ إنذَار مُدَوِّيَة، وتقـفُ العربةُ فجْأةً وتتسمَّرُ فى مَكانهَا.. ويعلنُ صوتٌ مجْهُولٌ أنَّه الزلْزَال.. وترتجُّ الأرضُ رَجًّا عَنِيفًا.. فتهتزُّ المقَاعِدُ ومَنْ عليـهَا. وتنطلـقُ أصـواتُ انفجَـاراتٍ عَنيفةٍ كأنهَا تأتِى مِنْ بَاطنِ الأرْض.. تلتفِتُ (سـندريلاً) مذعُـورةٌ فـإذَا بـهَا تَـرَى الأرضَ مِـنْ حوْلهـا تتشـققُ، والنـيرانُ تخـرجُ مِـنْ بَاطنــهَا. تصعـقُ (سندريلاً) وتصيحُ برعْبٍ وخوْفٍ:

– يا إلهى. ما هَذَا؟ إنه الزلْزال. أجَلْ زلزال مدَمِّر.

وأمامَ العرَبةِ ينهَارُ بناءُ ضخْـمُ كَبـير.. وتتفجَّـرُ أنـابيبُ للميَـاه.. ويبـدُو الخطرُ كَبيرًا مُحْدقًا بهذِهِ الجمُوع التى انحشَرَت فـى عَرَبـةِ القِطَـار. تبْكِـى (سندريلاً) وتنادِى بأعْلَى صَوْتهَا:

–ساندى.. ساندى.. سنمُوتُ بالزلْزَال.

تتعَالى شهقاتُ الجمُوع وضحكَاتِهِم.. وترنُّ ضحكَةُ (ساندى) أعلَى منْ جَميعِ الضحكَات، وتطغَى على نداءٍ واستِغَاثة (سندريلاً)..

تذهلُ (سندريلاً) وهى تَرَى فظاعَةَ الزلازلِ مِنْ حولهَا، والجميعُ يضْحَكون مبتَهجِين.. تغيبُ (سندريلاً) فى إغمَاءةِ رعْبٍ طَويلَة.. تستيقظُ عَلَى صوْتِ (ساندى):

– سندريلاً.. مَاذا حَلَّ بك؟

وعندمَا تتلفتُ حولَهَا تجدُ أنَّ كلَّ شيءٍ قدْ عادَ كمَا كَانَ عليه، ولاَ منْ آثار لزِلْزَالٍ أو دَمَار. تسألُ باندِهَاش:

– مَا هَذا الذِى جَرى يا ساندى؟

تجيبُ (ساندى):

– إنهَا تجْربة مسَلّية لزلْزَالٍ مصْطَنَع.. أليسَت تجربةً مذْهِلَةً تنقلُ لَكِ إحسَاسًا حَقِيقيا بالزلاَزل؟

تستردُّ (سندريلاً) أنفاسَهَا.. وتقولُ بصوْتٍ يملؤُه الحزْن:

– هكَذا إذَنْ يا سَاندى.. زلْزَالٌ وهْمى.. أهَذِه هِىَ متعكُم.. كوَارث.. ودمَار.. ورعْب؟

(ساندى) تتحدثُ كثِيرًا وكَثِيرًا.. تلتهمُ الشطائِرَ والحلْوى.. تتجَوَّل.. وتشرحُ لسندريلاَّ كُلَّ مَا تَرَاه، وتشيرُ بيديهَا وعينيــهَا، بـلْ بكُـلِّ قلبـهَا إلى روَائِعَ هَذَا العَالَم:

– هنَا المصاعِدُ الصَّاروخيَّة التــى قذفَـتْ بنَـا إلى النجُـوم.. وهنـا المقـاعدُ السِّحْرية وهىَ تعْلُو فى هَذَا الدولاَبِ الكـهْربائى العِمْـلاق، تعلُـو وتعلُـو ثـمَّ تهْبط.. وهنَا سباقَات السـيَّارات الإلكترُونيـة والدرَّاجَـات بأنواعِـهَا.. وهنَـا مسابقَاتِ التصوِيبِ والرمْى والنيشَان وجَوَائزَ لكُلِّ فَائز.. وهنَا قصَّةُ البشـريَّةِ منذُ العصْرِ الحجَرى حتَّى العصْرِ الإلكترُونى.. وهنَا كهُوفُ الرعْبِ والإثَـارة والجمَاجِم التى تتحَرَّكُ وتتكَلَّم.. وهُنَا مغامرَاتُ الشلاَّلات والقفْز مـنْ رُءُوسِ الجبَال.. وهنَا كوارثُ القطَارَات السَّريعَة والطائراتِ بأسْـرَع مِـنَ الصَّـوْت.. وهنَا العودةُ للمسْتقْبَل (وتضيف ساندى: وهذا يقتَضِى شَرْحًا مطَوَّلاً سأبسطُه لـكِ عندمَـا ندخـلُ الصَّالـة).. وهنَـا حدِيقَـةُ الدينـاصُوَرات.. وهنَـا قاعَـاتُ السـينما بـالبعْدِ الثـالثِ فــى أعظَـمِ الاسـتدْيُوهات لأعظَـمِ الشـرِكَات.. وهنَا.. وهنَا..

وفى عَالَمِ ديزنى كانتْ (سندريلاَّ) تتجوَّلُ برفقَةِ (ساندى) شارِدَةَ الفكْر، منكسِرَةَ القلْب. وأمامَ عرَبةٍ صَغِيرةٍ تكسُوهَا مئاتُ الأزاهِير والورُودِ الطبيعيَّـةِ البدِيعَةِ وَقفَت (سندريلاَّ). وما أن استنشَقَت العَبيرَ الفوَّاحَ حتَّى أفـاقَتْ مـنْ ذُهُولهَا وكأنَّ رُوحًا جَدِيدَةً حلَّتْ بهَا.

(ساندى) تقفزُ بفرحٍ وتُشِير:

- سندريلاً.. انظرى هنَاك.. إنهُ مِيكى..

تنظُر (سندريلاً).. وتفتحُ عينيهَا جَيِّدًا:

- مَا هَذا الفأرُ العمْلاق؟

تهرعُ (ساندى) بفرحٍ نحوَ فرقَةٍ يتوسطُهَا أحدُهُم وهُو يرتدِى زىَّ الفأر الشهير (ميكى ماوس).. ومَا تلبثُ أنْ تعودَ نحوَ (سندريلاً) لتسحبَهَا مِنْ يدِهَا وهىَ تقُول:

- هَذا (ميكى) الفأرُ الشهيرُ فى عَالَمِ ديزنى.. إنه الشَّخْصية المحبُوبة التِى أدْخَلت البهجَةَ والفرحَ لقلوبِ لملاَيين منْ أطفَالِ العَالَم.

تضحَك (سندريلاً) وهىَ ترى إلى الفأر يعانقُ الزوَّار، ومنْ حَوْله تتقافزُ شَخُوصٌ كَاريكَاتورية لفئرانٍ وقططٍ، وكلاَب.

يقتربُ الفأرُ الضخْمُ منْ (ساندى) بينمَا اختبَأت (سندريلاً) وراءهَا. تعانِقُه (ساندى) وتلتقِطُ معَه الصورَ التذْكَارية. تضحَكُ (سندريلاً) حتَّى تغرورَقُ عينَاهَا بالدمُوع، وتقُول:

- عَالَمٌ عجيبٍ.. فأرٌ يدخلُ السرورَ للنفُوس.. وكوارثُ تنتزِعُ الضحِكَات.

تقُول (ساندى).

- تعَالى إذنْ لأُريكِ الآن (كينغ كونغ).

تسألُ (سندريلاً):

– ومنْ هوَ (كينغ كونغ) هذا؟ فأرٌ آخرُ؟

وفوقَ مدينةٍ عجَائبيةٍ مصغَّرةٍ فيهَا الجسُورُ والأضْوَاء، والأبنيةُ والشرفَات المزينةُ بأصصِ الأزهَار.. كانتْ (ساندى) و (سندريلاَّ) تحملقـانِ فِـى مركبـةٍ تتجوَّلُ بانسِيَابيةٍ هادئـةٍ، وهمَـا تنظـران بدهْشَـة وسـرُور إلى مـا تحتـهُمَا.. وفجأةً ومنْ بيْنِ الفـرحِ والضحِكـاتِ تـبرزُ غُوريلـلا هائِلـةَ الحجْـم، أمامـهَا كوحْشٍ أسطُورى مُخِيف، وهىَ تطلقُ صَرَخاتِهَا المرْعِبة، وتحاولُ أنْ تقبضَ على المَركَبةِ بيدِهَا، كمَا لوْ أنهَا نحْلة تطيرُ مِنْ أمامهَا.

تصرُخ (سندريلاً) مِنَ الفزَعِ:

– الوحْش.. الوحْش.. سوفَ يبتلعُنَا..

وتتمسَّكُ بسـاندى وهـى ترتعـشُ والخـوْف يكـادُ يبددُهَـا. (سـاندى) تضحَكُ وتقُول:

– لا تخَافِى يا سندريلاً.. إن (كينغ كونغ) وحْـشٌ لَطِيـف.. وهُـوَ ليـسَ إلاَّ دُميَة.

تنهمِرُ دموعُ (سندريلاَّ) وهى تغادِرُ مهْجَعَ الوحْشِ الأسْـطورى.. وعندمَـا تحاولُ (ساندى) أنْ تمسحَ لهَا الدموعَ، تقُول (سندريلاَّ):

– مَاذا فعلْتِ بى يا ساندى؟

– مَاذا فعَلْتِ؟ تسأل ساندى باستغْراب.

تجيبُ سندريلاً بحزْن:

– أتدْعينَنِى إلى عَالَمِ الوحُوش والغِيلاَن.. وأنـا أدْعُـوك إلى عـالمِ أمـيرى السَّاحِرِ وعَالَمِ الحلمِ الشفافِ الجَمِيل؟

تردُّ (ساندى):

– إنها مجرَّدُ ألعابٍ للتَّسْلية لاَ أكثر!

– أخرجِينى منْ هذا المكانِ أرجُـوك.. – تقُـول سـندريلاً – فأنـا لسْـتُ معتَادة على مثْلِ هذِه العوالمِ القَاتمة.

تقُول (ساندى):

اسمَعِى يا سندريلاً.. إنَّ زمَانَنَا هذا يجمَعُ كلَّ المتناقضَـات.. فيـه الحلْـم الشفَّاف.. وفيه الصَّخَب، والعنفُ، والدمارُ.. إنـهَا معادلـةٌ صعْبَـةٌ ولكنـهَا ليسَت مُستحِيلَة.

تهمِسُ (سندريلاًّ) لنفسِهَا:

– زمانٌ عَجِيب.. وعالمٌ أعْجَب.

* * *

مِـنْ حـوْلِ (سـاندى) و (سـندريلاً) أخـذَ النـاسُ يتجَمَّعــون.. عشــرة.. عشرون.. خمسون.. مئات بلْ ألُوف..

– مَا هَذا.. لماذا يتجمَّعُ الناسُ مِنْ حوْلنا؟ تسألُ سندريلاً.

– إنهُم يأخذُون أماكنَهُم استِعْداداً لمشاهَدَةِ الاستِعْراض.

– الاستِعْراض؟

تُجيبُ (ساندى):

- نعم إنه استِعْراضُ عالمِ ديزنى الملوَّنُ بالفرَح.. الآن سوفَ ترَيْن.

ومَا هِيَ إلا دقائقَ معدُودة، حتَّى هدأت كلُّ الجمُوع المحتَشِدة، ومَا مِنْ همْسةٍ حتَّى لطفْل. صَمَتت (سندريلاً) هيَ الأخْرى، وقَدْ أمْسَكت بيدِ (ساندى) خَوْفًا مِنْ مفاجَآت مزْعِجة جَديدَة لمْ تعدْ مُسْتعِدة لأىٍّ مِنهَا.

وفجأةً انبثَقَ لحنُ عذْب، وبرقتْ مِنْ بعيدٍ أنوارٌ مُلَونة. وإذا بعرَبَاتٍ تكادُ تكونُ أسْطُورية تحمِلُ الأضوَاء المبْهرَة، والأشكَالَ البَدِيعَةَ لزهُور وفَرَاشَاتٍ مُلَونة مُضِيئة، وفتياتٍ جَمِيلاتٍ قد انزرعْنَ بينهَا وهُنَّ يلوحْنَ بأيدِيهنَّ لجمُوعِ المتفرِّجين.

ومنْ بينِ العربَاتِ وكلُّ واحدةٍ منهَا تمثلُ قصةً معْرُوفة أو أسْطُورة متدَاولَة.. برزَت العرَبةُ الأجمَلُ والأكثرُ أضوَاءً وإشرَاقًا وهى تحمِلُ قصَّةَ (سندريلاً).

هتفَتْ (ساندى):

- سندريلاً.. هذِه عَربتُكِ. وهَا هِيَ قصَّتُكِ.

وعندمَا التفتَتْ لمْ تَرَ سندريلاً بجانبِهَا.. وفوقَ العربةِ ظهَرت لهَا (سندريلا) وهىَ تحلِّقُ بجنَاحيْنِ مِنْ شُعَاع، ووجههَا يشعُّ بالفرحِ والضيَاء.

جلَسَت (ساندى) على طرفِ مقْعَدٍ صَغِير، وعندَما انصَرَفت آخرُ مرْكبَاتِ الاستعْراض كانتْ (سندريلاً) تـهبطُ إلى جانبِ (ساندى) خَفِيفةً كريشَةِ طَائِر.

وعندمَا أغفَتْ (ساندى) قليلاً بعدَ تعَبٍ شَدِيد، صَحَت لترَى (سندريلاً) وهى تغْفُو فوقَ ذراعيهَا كَمَلاك، وابتسامة عذبة ترتسِمُ على وجهِهَا.

(ساندى) توقِظُ (سندريلاً) بحنَانٍ وهى تقُول:

– اصحى يا سندريلاً فقدْ حَان الآنَ وقتُ زيَارةِ قصْرك الموعُود.

تصحُو (سندريلاً) عَلى كلِمَات (ساندى) كمَا لو أنهَا رشَّت وجهَهَا بالماء.. وتفتحُ عينيهَا بانتبَاه، وتقُول

– القصرُ.. طبْعًا.. طبْعًا فأنا فِى انتظَاره.. أوْ لعلَّه هُوَ فِى انتِظَارى.

تقُول (ساندى):

– ولكنِّى كنتُ أخافُ لوْ بدأنَا بقصْرك.. أنْ تجتذبكَ إليْهِ قوةٌ مجْهُولة فتظلينَ فِيه أسطُورة حيَّة.. وكَمْ سيَكُونُ القائِمُون عَلى هذا العَالم سُعَداء، عندمَا يجْذبُون ملاَيين السُّيَّاحِ لرؤْيتك.. وسيكُونُون فِى غِنًى عنْ تمثيلِ قصَّتِك.. أو ترميزهَا بالدُّمَى المتحَرِّكَة.

أمَّا أنتِ فستكُونين أسْعَد.. لأنكِ ستَعِيشِينَ حلْمك منْ جَدِيد.. فى قصر جديد.. وعصر جديد.

(سندريلاً) تبدُو متلاشـية حتَّـى كأنـهَا توشـكُ أنْ تغـدُو شـبَحًا.. تقُـول (ساندى) بفزَع:

– لا.. لنْ أتعبَكِ أكثرَ بعدَ هـذِه الجوْلـة الكُبرى.. فزيـارةُ عـالمِ ديزنـى تحتَاجُ إلى أيامٍ وليَالٍ.. وأنـتِ لـنْ تحتمِلـى.. سـنكْتفى بعـدَ الآن بالذهَـابِ إلى قصْرك.

وهمَا فى القطار الصغيرِ الملونِ فى الطرِيـق إلى القصْـر تسـمعَانِ ضحِكَـات أطفال مثْل عصَافيرٍ فى غَابة.

تقُول (ساندى):

– هنَا سينمَا الرسُوم المتحَرِّكة.. سيكُونُ حظنَا كبـيرًا لـو أنـهُم يعرضُـون فيلمًا عنْك.. مَا أكثرَ هذِه الأفلاَم، ومنهَا ما هو كُومِيدى ضاحِك.

مَـا أن تسـتقِرَّا فـى مقـاعِد جلْدِيـة حَمْـراء.. والنـورُ مطْفأ حتَّـى تخلَـع (سندريلاً) حذاءهَا الذَّهبى، وتَتنبه مِنْ جَديد كمَـا لـو أنـهَا زهـرةٌ انتعشَـتْ بعْدَ ذبُول. لكنهَا وخـلالَ عـرضِ الفيلـمِ الضَّـاحك لمْ تضحَـك أبـدًا.. بينمَـا (ساندى) كانت تقفِزُ منْ مكانهَا وتصيحُ ضَاحِكة، وكأنهَا وَاحِدة منْ أولئِكَ الأطفالُ السُّعَداء.

وعندمَـا تخرجَـان تلاحـظُ (سـاندى) الدمـوعَ فِـى عَيْنـى (سـندريلاً)، تسْألُ بحنَان:

– هلْ تبْكين يا سندريلاً؟.. كنتُ أظنُّ أنكِ ستكُونينَ فى غَايــة السَّعَادة وقصَّتُكِ تفرحُ كلَّ هؤلاءِ الأطْفال.

– طبْعًا.. – تقُولُ سندريلاً – يجبُ أنْ أفرحَ مِنْ أجْلهِم ومعَهُم.. ولكننِي حزنتُ لهذِه الصُّور المضْحِكة التى ترسُمُونها عنِّى. هَلْ أنا كذَلك؟ ساذجَة وبلْهَاء؟.. ومَاذا عن السَّاحِرة العظيمَةِ التى لا يزالُ قَلْبى يرتجِفُ لذكرِهَا وهِى تبدُو أضْحُوكَة؟

– هكَذا إذنْ.. – تقُولُ ساندى – فأنتِ تريدِينَ لوْ صوَّرُوا قصَّتك الحقِيقيَّة تمامًا كما وقعَت. أليسَ كذَلك؟

– ربمَا.. – تقُولُ سندريلاً – أو عَلى الأقلِّ مَا يشبهها.

– اسمَعِى.. – تقُول ساندى – هذا لا يغيرُ مِنْ رمزِكِ الساحِرِ شيئاً..

أنتِ الآن رَمْز.. وحكايةٌ لطيفَةٌ طريفَةٌ لا أكثَرَ بالنسبَةِ لهؤُلاءِ الصِّغار.. ولكنْ ثِقِى أنهُم كلمَا كبرُوا ستكبرُ معَهُم قصَّتُك.. وسيقرؤونهَا حَسَبَ أعمَارهم.. وعندمَا يصلُون إلى سِنِّ النضْج سيذْركونَ كمْ شحنتْ خيالهم هذِهِ القصَّة.. وكمْ مسَّت مشاعرَهُم.. وكمْ أحبُّوهَا حتَّى أنهُم لا يستطيعُون أنْ ينْسوهَا.

تعَالِى معِى إلى القصْر.. وهناكَ ستَنسْينَ أحزانَك.

وأمَّا القصْر توشِك (سندريلاً) أن تتلاَشَى وعيناهَا معلقتَانِ فى قمَّته، تقُول:

– وهَل تظنينَ أنَّ هذا يمكنُ أنْ يكونَ قصْرى؟ لا.. إنهُ أعجُوبة وليسَ قصْرًا. أينَ منْه ذلِكَ البنَاءُ الصامِتُ الموحِشُ الذِى كانَ قصْر

أميرى.. والذِى لمْ يكنْ يضَاء إلاَّ فى المناسَبَاتِ الكَبِيرة؟ وبمَاذا يضَاء؟ بالشُّمُوعِ والمشَاعِلِ لاَ أكْثر. أينَ كلُّ هذِه النعُومة والإضَاءة والإشرَاقَ منْ تلكَ الخشُونةِ والحجَارة الصمَّاء، وظلاَل الغابةِ السَّودَاء؟ وهذِه الشخُوصُ التى تتحرَّكُ بخفَّةٍ ورشَاقة لا تشبهُ فى شىْءٍ تلكَ الوجُوه الصَّامتَةِ الخرْسَاء التِى كانتْ تتنقلْ فى أرجَاءِ القصْر، وأصحَابهَا منَ الخدمِ العبيدِ والرعَايا الذينَ لا يعرفون إلاَّ الطاعَةَ العمْيَاء؟ وهذِه الأسرَّةُ.. والستائرُ.. والمفارشُ.. وهذَا الأثاثُ المنسقُ الجمِيلُ لا يمتُّ بصلَةٍ إلى مَا كانَ عليْه قصْرى.. ذاكَ هُو طائرُ أحْلاَمى.. ولكنَّ أحْلاَمى الآن تتساقطُ مثْل طيُور بيضَاء تصْطَادها أيدِى صيَّادِين مجْهُولين.

(ساندى) تستغْربُ كلَّ ما تقُوله (سندريلاَّ).. وتشعرُ أنهَا تشفقُ عليهَا.. وأنَّ حنَاناً بالغًا نحوهَا يتدفقُ مثْلَ شلاَّل. تقُول (سندريلاَّ):

– وأما هذِه (السندريلاَّ) التى تطلُّ كلَّ ساعةٍ على الناس منْ شرفَةِ القصْر.. إنهَا ليْسَت أنا.. ليسَت أنا. لمْ أكنْ إلا فتاةٌ بَسِيطةٌ خَجُولٌ، ارتجفُ لوْ أنَّ الأميرَ طلبَ مِنِّى أنْ أحيى فى حفْل مَلَكى أفرادَ أسْرته أو الطبَقَة الراقيَةِ منْ حَاشِيتِه فكيْف لِى أنْ أقومَ بكُلِّ هذِه التحِيَّات.. بمثلِ هذِه الجرأةِ وهذِه الابتسَامَات؟ ثمَّ أننَا كنَّا ننحَنِى أمَامَ الملوكِ والملكَات، ونهزُّ رُءُوسَنَا فقَط للحَاشِيَة ولا نلوِّحُ هكَذَا بأيْدينَا، أو نرسِلُ القبُلات فى الهوَاء.

تضحَكُ (ساندى) وقدْ شَعرَتْ بشَىءٍ منَ الانفرَاج.. وقصدهَا أن تضْحَك (سندريلاً) أو تبتسِمَ على الأقل. لكنَّ (سندريلاً) كانتْ تلملمُ دموعَها معَ أحلامهَا المحطَّمَة.

تقُول (ساندى):

– لابدَّ أنْ أجعَلَك سَعِيدةً قبْلَ أنْ تفارقينِى.. لا أدرى الآن كيفَ سيتمُّ ذَلِك.. وأينَ؟ لكِنَّنِى سَأبذُل جُهْدى.. وبصرَاحةٍ كنتُ أظنُّ أننِى سأتركُكِ هنَا تذُوبينَ فى عَالِمِكِ.. أوْ تسْتَقِرِّينَ فيه إلى الأبدِ، لكنَّ ظنىَّ قدْ خَاب.

وهَنا اكتسَت ملامحَ (ساندى) بالحزْن..

أمَّا (سندريلاً) فإنَّ ضحكهَا كَانَ كالبُكَاء.. أمْ أنهُ بكاءٌ كالضَّحِك؟

* * *

الفصل الخامس

موعد مع النجوم

(ساندى) التى تتهيأ للرحْلةِ الفضَائيــة لا تجـدُ فـى ذهنـهَا أو مشـاعرِهَا مكَانًا لأىِّ أمْرٍ آخر.. واختفَاء (سندريلاً) من حياتهَا بدَا لهَا عادِيًا وبـاردًا.. هلْ عـادتْ عـنْ طريـقِ الجـهَاز؟.. أم تبـدَّدَت كالبُخـار فـى الأثـير؟..لماذَا غادرتهَا هكَذا بلاَ إنذَار وبهَذِه الطريقَةِ الغامِضَة؟

– علـى أىِّ حَـال.. – قـالتْ سـاندى لنفسِـهَا – سـأعودُ لمناقشـةِ هـذَا الموضُوعِ معَ (جون) بعدَ رحلةِ الفضَاء.

والرحلةُ لنْ تستغرقَ أكثرَ منْ أيامٍ معْدُودة، وعليهَا أنْ تتجَهَّزَ للأمْر. فِـى ذهنـهَا، ونوازعِـهَا، وأعصابِـهَا قبـلَ تدريباتِـهَا النهائِيَّـة.. وعليـهَا أولاً أن تهبَ ذاتهَا بشكْلٍ نهَائى للنجَاحِ المنتظَر. إنه ليسَ نجاحهَا فقطْ بـلْ نجـاحِ بلادهَا بأسرهَا. نجَاح هو وسَام فِى زمنِ المنافسَاتِ ومنْ كلِّ نوعٍ ولوْن.. مـنْ كلِّ الاختصَاصَاتِ حتَّى الرياضيَّاتِ والفنُون.

ساعَة انطلاقِ الصَّاروخ.. وجمْـهُور منْ نـوعٍ خَـاصٍ جـدا يقـفُ لتوْديـعِ الطاقمِ الفضَائى منْ رجَالِ السُّلْطة، والعلمَاء، والمهتمِّين بالفضَاء، ومنْ أهَـالى الروَّاد. كانتْ (ساندى) تنظرُ بلهفَةٍ ورَاء الشباكِ المعْدنية حيثُ الأيَادِى



تلوحُ مودعَةً لعلهَا ترَى أباهَا. هُو وحْده الذِى تحبُّ أنْ تراهُ ليشهدَ صعُودَهَا إلىَ النُّجُوم.. وتفوقَهَا.

منْ بينِ الوجُوه الملهُوفة.. والأيْدى الملوحَة.. رَآتــه.. وشَعرت بـالفخْر.. وكَأنما رأتْ دموعَه. هذا رَائع.. تقُول (ساندى) لنفسِـهَا.. الآن أستطيعُ أنْ أقومَ بمهمَّتِى وأنا فى حَالةِ نشوَة إنْ لمْ أقلْ سَعَادة.

ولكنْ لماذا تبحَثُ منْ جَدِيـدٍ بـينَ النَّـاس؟ هَـلْ تتوقـعُ أحَـدًا آخـرَ غـيرَ زُملائهَا فى المرْكز، ورفِيقتهَا فِى الغُرْفة، ومُشْـرِفة المبنـىَ العجُـوز الطيِّبـة؟ هاتفٌ مجْهُولٌ كـانَ يقـولُ لهـَا أن هنـاكَ أحَـدًا آخـر.. وفجَـأةً.. وقبـلَ أنْ تصعدَ السلمَ القصِيرَ الموصِـل إلى القمْـرة.. وبينمَـا هِـىَ فـى ثيابِـهَا الفضَائيـة وقناعهَا الوَاقى يومضُ شعَاعُ أمامهَا.. تتشكَّلُ صورةُ (سندريلاَّ) ثُمَّ تختْفى.. تحدقُ باهتمامٍ منْ جَدِيد.. تبدُو (سـندريلاًّ) مجَسَّـدة وكأنــهَا ترتـدِى مثْلَـهَا ثيابَ فضَاء.. مَا الأمْر! هلْ هىَ أعجُوبةٌ أمْ معْجِزةٌ، أم أنــه خيالهَـا يصـورُ لهَا ذَلك؟

تصعدُ إلى القمْرة وهى تبعدُ عنْ ذهنهَا كلَّ ما يمكِنُ أن يشغلَه أو يسـبب لهَا اضْطِرابًا. تجلسُ فى مقعَدِهَا وتقوُم بكلِّ ما يترتبُ عليـهَا مـنَ اسـتعمَال الأجْـهزَةِ للحْظَـةِ الانطِلاق.. ومـن السماعَاتِ المثبتـةِ فـى خوذتـهَا تسـمعُ إشَارَاتِ العدِّ التنازُلى.. إنهَا الثانيةُ الرهيبةُ بلْ جزءٌ منَ الثانيةِ التِى ينطلـقُ فيهَا الصـاروخُ وينتـهِى كـلُّ شـىْء. لمْ تغمـضْ عينيـهَا بـالطبْع بـلْ كـانتْ حواسهَا كلُّها شبَكةً مِنَ التيقظِ والانتبَاه. ومَا أنْ حلَّت تلكَ الثانيـةُ وانطلـقَ

الصاروخُ حتَّى تأكدَتْ أنَّ ما رَأتْهُ كَانَ وهْمًا لاَ أكثر. الدقائقُ الأولى للانطلاَق رَهِيبة.. هى الامتحانُ العسيرُ وبعْد ذلك يبْدُو الأمرُ أسْهَل.. وبعْد الانفِـلاَت مِنَ الغلافِ الجوِّى تغدُو الرحلةُ جَمِيلةً إلى حدِّ الروْعة.. هىَ كالسِّبَاحة فوقَ الماءِ كمَا قالَ لهَا أحدُ المدَرِّبين.. ومَا عليهَا إلاَّ أنْ تكُونَ فى حَالـةِ استرْخَاء جسَدى تَامٍّ.. مع انتبَاهٍ ذهْنى تام أيْضًا، وأنْ يكونَ ارتباطهَا الأوحَـدُ بـهذِه الأجهزَةِ منْ حوْلهَا.. حتَّى كأنهَا هِىَ أيضًا واحِدٌ منْهَا.

بعْدَ التحرُّر من الغلافِ الأرْضى.. وللمحَةٍ مـرَّ كالـبرْق خَـاطِرٌ لسَاندى.. فتمْتمتْ لنفسِهَا بشكْل لاشُعُورى: سندريلاً.. سندريلاً. ومثْل جِنِّية خُرَافية لاحَت لهَا (سندريلاً) كمَا لاحَ لهَا مقعـدٌ شـاغرٌ إلى جوارهَـا، مـعَ أنَّ طـاقمَ الفضاءِ مكتمِلٌ ولا مقعَدَ خَال.

وبـهُدُوء كمَـا يصفُـون هــدوءَ الملائكــةِ، جَلَسَـت (سـندريلاً) دُونَ أنْ تلتفِتَ إليهَا.

قرأتْ (ساندى) فى سرِّها الصلوَاتِ التِى تحفظهَا.. وتفاهمَت مع نفسِـهَا أنْ لاَ شىءَ سيَكُونُ عَائِقًا لهَا عنْ مُهمتها.. وبمـا أنَّ مهمتـهَا كـانتْ إرسَـالَ إشارَاتِ التوقيتِ للمسَافَات.. ومراقبـةَ الصنـدُوق الزجَـاجى الـذِى يحتـوِى فئران الاختبار البيضَاء، فقد ظلتْ متوَاصِلـة مـعَ المـهمَّتين: أصابعـهَا فـوقَ الأزرار.. وعيناهَا على الصندوق الزجَاجى. لكنَّ منظرَ الفـئران كـانَ يأسرهَا وهى تسجِّلُ حركـتِهَا واندفاعَاتِهَا كلَّمَا أوغلَ الصـارُوخُ فِـى عمْـق الفضَـاء.. وِهىَ قدْ تمنتْ وهْم على الأرضِ أنْ تنجحَ التجربةُ ولا يموتُ أىُّ واحـدٍ مـنْ

هذِه الفئرانِ الأليفةِ الجمِيلة.. وخاصَّةً الأنثــى البيضَـاءَ السَّمِينة. تـرى هـلْ تقمَّصَـت (سَـندريلاً) فـى هـذِه الفـأرةِ وصعـدَت إلى المركَبَـة؟ ولكــنْ كيــفَ استطاعَت أن تعودَ علــى شـكْلٍ بشَـرى وترتـدِى لبـاسَ الـروَّاد؟ لا.. هنـاكَ حقيقةٌ واحِدةٌ فقط. وهىَ أنَّ (سنْدريلاً) مجَردٌ وهْم.. أوْ خَيَال.

وبما أنهَا تعاملَت معَ هذَا الوهْم أو الخيَالِ منذُ فترةٍ وكَأنه واقِـعٌ فلتفعَـل الآن الأمرَ ذاتَه.

– سـندريلاً.. – تـهتِفُ سـاندى مـن جــهَاز الصـوْتِ أمامــهَا – هــلْ أنتِ معى؟

– نعـم.. أنـا معَـكِ يـا سـاندى. – تـردُّ سـندريلاً – أمَـا وعَدْتنـى بــأنْ تسْعِدِينى منْ جَدِيد.. وأنْ تجعَلِينى أسْطُورةً جَدِيدَة؟

تتنهَّدُ (ساندى) بضِيق.. وينقلُ لهَا جهازٌ صغِيرٌ صوتَ تنــهدهَا مضخَّمًا كأنه صوْتُ مَوْج.

– صَحِيحٌ.. صَحِيحٌ.. ولكنْ هذِه هــىَ فرْصَتــى أنــا.. وليسَـت فرْصَتـك.. ولكل إنسَانٍ فرْصَتُه فى الحيَاة.

– هلْ تقصُدِين.. – تقُولُ سندريلاً – إنكِ تريدِين أنْ تُصْبحِى أسْطورة؟

– لا.. – تردُّ ساندى – نحنُ لسْنا فِـى زمَـنِ الأسَـاطِير.. بـلْ فـى زمَـن العِلْم.. زمَنِ التفوُّقِ الباهِر.. والتنـافسِ الخطِـر.. ولـو أردْنَـا حسَـبَ مفَاهيمَ زَمنِكِ أنْ نخلقَ أساطِيرَ منْ سندريلاَّت وأمرَاء لكانَ العددُ كبيرًا لا يحْصى.

عندنَا سندريلاَّت منْ كلِّ علْمٍ ورِيَاضــةٍ وفَــن.. مِــنَ العالمــاتِ الباحثــات، والمغَامِرَات الجريئَات، واللاعبَاتِ الرياضيَّــات، وحتَّــى مـنْ نجـومِ السينمَا وعارضَاتِ الأزْيَاءِ وفتياتِ الإعْلاَنَات. ومَاذا أيضًا ممنْ لهنَّ هوايَات لا تخطرُ على بَالِكِ أو بَالِ أحــدٍ فــى زمَنِـك. أمَّـا الأمَـرَاءُ فمَـا أكـثرَهُم.. أمـراءُ المـالِ والشركَات.. وأصحَابُ النفوذِ والسُّـلْطَات.. هـذا عـدَا عـنْ أمـرَاءِ الريَاضَـة، والشَّاشَات، والسباقات، والهوَايَات.

- وأنتِ.. - تقولُ سندريلاَّ - أينَ موقعُكِ مِنْ هَؤُلاَءِ جَمِيعًا؟

وتتذكـرُ (سـاندى) رفيقَـهَا (جـون).. الـذِى أعطاهَـا دورَه فــى الرحْلــةِ الفضَائية.. وقالَ لهَا بعْدَ أنْ صعدَتْ إلى القمْرة وودعَهَا:

- سأنتظرُكِ يا ساندى. وسأكونُ فخُورًا بِكِ..

أوشكَت أنْ تقُولَ لسندريلاَّ إن أميرَهَا ينتظرُهَا..

- ذاك الشابُّ اللامعُ الموهوبُ المــىءُ ثقـةً بنفْسِـه وبالمسْتقْبل.. والـذِى مَا أنْ أدرَكَ مدَى إخلاَصِهَا لفكرتهَا واندفاعهَا الطمُوح فِى أنْ تصبـحَ نجمـةً لريادةِ الفضَاء، حتَّى رفعهَا بيدِه فوقَ سلَّمِ المجْد.. ومنحهَا هـذِه الشـحنَاتِ مِنَ الحماسِ والتصْمِيمِ والإرَادة. (جون) أوصَاهَا بـأنْ لا تغفَـل عـنْ أىِّ جـزْءٍ مهمَا كانَ دقِيقًا، مما رصدَ لهَا فى برنامجِـهَا الفرْعـى ضمْـن المهمَّـةِ العَامَّـةِ ككُل، وأنَّ نتائجَ التجَاربِ عَلى الفئرَانِ.. ولكونـهَا جَدِيـدة تمامًـا، سـيكونُ لهَا مردُودٌ عِلْمى فَائِق.

– حَسَنًا.. – تقولُ ساندى – سنَرَى عندمَا نعودُ إلى الأرضِ أينَ سيَكُونُ موْقِعِى.. ألنْ تَظَلّى مَعِى يَا سندريلاً؟. ستعْرفين بنفْسِكِ.

وهكَذا شُحِنت (ساندى) بمقدَارٍ هَائلٍ منْ طاقةٍ لمْ تكُنْ تتوقعهَا.. وأخذَت تسجِّلُ فى ملاحَظَاتٍ وخطُوطٍ بيانيةٍ كلَّ التطورَاتِ التى كانتْ تطرأ عَلى الفئرَان.. لكنهَا وقدْ رأت الفأرَةَ الأنثَى تبدُو عليهَا علامَاتٌ غَرِيبة.. وقدْ أصْبَحَت أسْمَن، وضربَات قلبهَا تتزَايد، سألتْ رئيسَ الطاقمِ عنْ معْنَى ذَلِك، وهلْ ستَمُوتُ الفأرَةُ؟ وإنْ هِىَ مَاتت فتِلْكَ كَارثة.. لأنَّ الفئْرَانَ كلّهَا ستَمُوت.

ولا يجوزُ أنْ تظلَّ فى المركبَةِ جثثٌ تحملُ جرَاثِيمَ الموْت. إلاَّ أنَّ رئيسَ الطاقمِ ابتسَم.. وتفاهمَ معهَا بالشّفْرَةِ بأنَّ هذِه عَلاَمَة نجاحٍ لأنهُم يجربُونَ الأجواءَ الكوْنية عَلى الأحوَالِ الجنْسِية وهلْ تصَابُ المخلوقاتُ بالعقْم مَثلاً.. أو تنصرِف عَنِ الجنْس؟

فرحَت (ساندى) فرَحًا شَدِيدًا.. وأطلقَت إشاراتهَا إلى (سندريلاً) القابعَةِ إلى جانبهَا مثْلَ طَيْف.. لكنَّ (سندريلاً) لمْ تظهرْ عليهَا أىُّ علامَاتٍ لا للفرَحِ ولاَ لسِوَاه. وأشَارَت إلى (ساندى) أن تتركهَا تهدأ بسَلامٍ حتَّى نهايةَ الرحْلة.

والرحلةُ تطْوى مرَاحلهَا يومًا بيَوْم.. ساعَةً بساعة.. بلْ دقيقةً بدَقِيقَة.. و (ساندى) فى قمَّةِ السَّعَادة.. فقدْ تحققَ لهَا أكثر ممَّا حَلُمَت به أو توقَّعَته.. كأنَّ طاقةً سِحْرِيَّةً كانتْ تمدهَا بالقوةِ والعزيمةِ والنجَاح..

وكلمَا نظرتْ إلى جهَاز الكمبيوتر أمامهَا ومَا خَزنَتْ فيهِ منْ معْلُومات.. وكلَّمَا عاينتْ تجربةَ الفئران ومَا تسفرُ عنه منْ نتائجَ، أحسَّت أنهَا تطيرُ مِنَ الفرَح.. ولماذا إحسَاس الطيران بالذَّات؟ أليسَت الآن طَائِرة فى أجوَاز الفضَاء، وإلىَ مسَافت لمْ يحلُمْ أحَدٌ وخاصَّةً الفتياتِ فى مثْلِ سنِّها؟

لقدْ أكلُوا وشرِبُوا، ونامُوا حسَب برنَامجهِمْ الدقيقِ جدًّا. فالطعامُ وجباتٌ خفيفةٌ مكثفةٌ مدروسةٌ جَيِّدًا من حيثُ قيمتهَا الغِذائيـة.. والشرابُ محددٌ بكمياتٍ لا تتعدَّى كأسًا أو كأسَين منْعًا لزيادَةِ الإفرَازَات. والنومُ ليسَ أكثرَ منْ مدَّةٍ معينةٍ يضعُ نهايتَهَا منبِّهٌ مربُوطٌ بالرسْغ.. وموصُولٌ بجرسٍ صغيرٍ إلى السَّمَّاعَات.

و (ساندى) يضطربُ برنامجُهَا الدقيقُ هَذا.. فلا طعامهَا كالآخرِينَ ولا نومهَا كَذلك. ذهنهَا ظَلَّ مشغولا بسندريلاً التى لا تعرف هلْ ستأكلُ هِيَ الأخرَى أمْ لاَ.. وهلْ لديهَا برنامجٌ لتنفذه أمْ لاَ؟.. إنها تراهَا فى المقعَدِ المجاور مثلهَا تمامًا وأمامهَا كُل التجهيزَات، لكنْ قلقهَا ينبعُ منْ أنَّ (سندريلاً) تجهلُ استخدَامَاتِ هَذِه الآلاتِ والتجْهيزات.. وهِيَ لمْ تعطهَا أىَّ فكرةٍ عن الرحْلة، ما عدَا تلكَ العلومَات العَامة، التى أدلَت إليهَا بهَا عندمَا سألتهَا عن المركبةِ الفضَائية ورحلاَتِ الجو.

ولا سألتْها: هلْ تأكلِين يا سندريلاً.. وهَلْ تشرَبين وتنَامِين؟ - كان الجوابُ ابتسَامةً غامِضَة.. وإشارةً إيجَابٍ بالرأسِ لاَ أكْثَر.

لكنَّ (ساندى) كانتْ تعزِّى نفسَهَا بأنَّ (سندريلاً) لو كانتْ وجُودةً حقًا، فلابدَّ أنهَا مِنْ خلاَلِ تجربتهَا معهَا فِى الطَّائِرة، وبذكائهَا الفطْرِى لابدَّ ستتصرَّف.

توشكُ الرحِلةُ عَلى الانتهاء.. والاتصَالات الأرضِيَّة تنبههُم أنَّه لمْ يبقَ إلاَّ سَاعَاتٍ معدُودَةٍ، حتَّى يعُودُوا إلى الأرض محمَّلين بهَذِه الكنوز العلْمِيَّة، والكشوفَات المعْرفية.. سيكونُ استقبالهُم حَافِلاً مهيبًا علىَ ذَلك الشاطئ منَ المحِيط.. فالمركبةُ لابدَّ أنْ تهبطَ فى الماءِ أولاً.. ثمَّ ينقلُونهُم فى زوارق تابعةٍ للبحْرية تخفِقُ فوقهَا الأعلامُ، حتَّى يتمُّ استقبَالهُم كأبْطال.. وسيغمُرُونهُم بباقاتِ الزهُور ويطلُقُون المدافعَ ترْحِيبًا بهم.. وسيملَئون السَّمَاءَ بالأسْهُم النارِيةِ لأنَّ هبوطَهُم سيكونُ معَ الغَسَق.. ولا شَكَّ أنهُم سيعلّقُونَ عَلى صدُورهم الأوْسِمَة.. ويطوِّقُونَ أعناقَهُم بمداليات لأعْلى مَرَاتب الشَّرَف.. ياله مِنْ مجْدٍ لا يضَاهِيه مجْد.. وعظَمَةً سوفَ تسجَّلُ عَلى التَّاريخ. تبدُو صفحَةُ التاريخ مرصَّعَةً بأسْمَاءِ النجُوم.. نجومُ روَّادِ الفضَاء.. وهَا هو اسمهَا يتلألأ فى سمَاءِ القَائِمَة مثْل نجمَةٍ أسْطُورية. صحيحٌ أنهُم بعدَ ذلك سيَعُدّون نجمَاتٍ غيرهَا.. وربما امتلأت تلكَ السمَاء بالنجمَات لكنهَا معَ ذَلك ستَظَلُّ نجمَة.. ونجمَة مُتألقة أيضاً يحكِى قصَّتَهَا الصغَارُ قبْلَ الكِبَار.. توشِكُ أنْ تقُولَ أسْطُورة.. عندَ هذِه النقطَةِ بالذَّاتِ تتوَقَّف.. هَلْ هِىَ مثل (سندريلاً).. أو هِىَ (سندريلاً) أخْرى؟

(سندريلاً) إلى جانبهَا لا تزالُ هَادِئةً سَاكِنةً مثْل مَلاَك.. رقيقَةً وشَـاحِبةً مثْل غيمَةٍ ربيعيَّة.

- سندريلاً.. - تهتفُ ساندى - سترْجَعين مَعِى إلى بيْتِى.. وسيكُونُ لى بيتٌ كمُكَافأةٍ أشبَهُ بقصْر.. مَا رَأيُك؟

تضيفُ (سندريلاً):

- وسـيكونُ أمِـيرك.. أو رفِيـق درْبِـك (جـون) عفْوًا.. فـــى انتظـارك. أليسَ كذَلك؟

- فى انتظَارى طبْعًا. - تقولُ ساندى - إمَّا فى بيتِــى كشَـريكٍ لحيَـاتى ربما.. منْ يَدْرى؟ إنَّ أمورًا مِنْ هَذَا النوْع فى زمنِنَا تتوقفُ عَلى التفاهُمِ التَّام بينَ الشَّرِيكَين، وليسَت بقرارٍ منَ الرجُلِ فقط.

- على أىِّ حَال - تقولُ سندريلاً - مَا وجُـودى بينكمَـا وأنتمـا زوجَـان سَعِيدان؟

ترتبكُ (ساندى) وتقُول:

إذنْ مَا العمَل؟ هلْ سأتركُكِ وحْدَكِ؟ لقدْ كنتِ لى فألاً حسَـنًا.. وتعْويـذةً سحْرِية رافقتنِى منذُ صممْتُ عَلى رحلَةِ الفضَاء هَذِه.

وهلْ تُؤْمنينَ بمثْلِ هَذِه الأمُور؟ تسألُ سندريلاً.

ولمَ لاَ - تقولُ ساندى - هذِه أمورٌ عَامَّةٌ وخَالدِة لَدَى البَشَـر.. لابـدَّ لهُـم دَائِمًا مما يؤمِنُونَ به.. أو يتفَاءلُون فيه.. وأنا شخْصِيًا لستُ بعِيدَة عنْ مثْــلِ

هَذِه المعتقداتِ أبدًا.. أؤمنُ بالسَّعْد والنَّحْس.. والحظُّ وسوءُ الحظِّ. والقدرُ خيْرًا كَانَ أمْ شرًّا..

ثمَّ أنني مُتدَينة.. ألمْ تلاَحظى أننى صليْتُ وأنا فى اللحَظاتِ الصَّعْبة مِنَ الرحْلة؟ لابدَّ للإنسَان.. فى أىِّ عصْرٍ وزمَانٍ مِنْ دِينٍ أو معْتقد. أليسَ كَذَلك يا سندريلاًّ؟

- كلامٌ رائعٌ يا ساندى. - تقُول سندريلاً - الآن أسْتطيعُ أنْ أغادرَكِ وأنا مُطْمَئنة.

- تغَادِرينني الآن؟ - تقولُ ساندى بدهْشةٍ شَدِيدَة - هَلْ تريدِينَ أنْ تخْرُجى منْ هَذِه المركَبَة؟ هَذَا مُسْتَحيل.. أم أنكِ ستتحوَّلينَ إلى شُعَاع أو طَاقةٍ مِنْ نوعٍ مَا؟

- لاَ.. - تقُول سندريلاً - ليسَ الآن بمعْنَى اللّحْظة.. وإنما بعْدَ أن تهْبطَ المرْكبة.

- هكَذا قُولى.. - تضيفُ ساندى - لقدْ أوقعْت قَلْبى.

الفصل السادس

سندريلا عام ٢٠٠٠

عندمَا أعْلنَـت دقـائقُ الهبُـوطِ الأخِـيرة.. إذا براحَـةٌ عميقـةٌ تنتشِـرُ فـى أعمَـاق (سـاندى) فتعطيـهَا إحسَاسًـا بمـا يشْـبه الخـدر.. كـانَ لديـهَا وقـتٌ ولـوْ قَصِـيرٌ جـدًّا لأنَّ تحـاورَ (سـندريلاً) الهادِئـة إلى جانبِـهَا وكأنـهَا هِـىَ الأخْـرى تنتظـرُ لحظـاتٍ حَاسِـمَة.. إنمـا بطريقَـةٍ غامضَـةٍ لا تدركـهَا (ساندى).

– افترضِى أنكِ مكَانى يا سندريلاً، مَاذا ستكُون طموحَاتك بعدَ أنْ تعـودَ المركبةُ إلى الأرْض.

– أنـا لا أعـرِفُ بمَـا أجيبُـك. – تقـولُ سـندريلاً – أنـتِ قطعـتِ بِـى مسَافَاتٍ هَائلَة مـنَ الزمَـن.. وجعَلتنـى أعيـشُ هـذِه التطـورَات المذهِلَـة مـنْ عصْركم.. لعلهَا ستكُون مقدِّمة لإنجـازَاتٍ أخْـرى تغيِّر وجْـهُ الحيَـاةِ عَلَـى كَوْكبِ الأرْض. لكننى مـنْ حيـثُ المبْـدأ أقـولُ أنَّ علـى الإنسـانِ أنْ يكـونَ دائِمًا طمُوحًا.

– ومَـاذا كـانتْ طمُوحَـاتك – تقُـولُ سـاندى – بعْـدَ أنْ أصبحَـت أمِـيرة أو دخَلَت قصْر الأمِير؟



– الحكايةُ أو الأسْطُورة – تقـولَ سـندريلاً – تتوقـفُ بكُـم عندمَـا فـزتِ بقلَبِ الأمِير، لكنَّ الحوادثَ غيْر ذلك.. فقدْ قُمْت بأعمَـال عظِيمَـةٍ بمقيَـاس زَمَنى.. أهمهَا مسَاعدة الفقرَاء، والفقِيراتِ خاصَّة، وخلْق فُرص لهُنَّ لأعمَال كَثِيرةٍ منْ أشغَال يدَوية وفنُونٍ تعُودُ عليهِنَّ بالنفْع، وتخْرجُـهن مـنَ الدائِـرة المغْلقة التِى يعشْن بهَا.

– هذَا رائعٌ – تقُولُ ساندى – أمَّا أنَا فلنْ تتوقَّفَ أيضًـا طمُوحَـاتى بعـدَ رجُوعِى منْ هذِه الرحلَةِ الفضَائية. ومَاذَا أيضًا يا سندريلاً؟

– أنجبْت أطفالاً كالشـمُوس والأقمَـار.. أصبحُـوا أمـرَاء.. ولا شـكَّ أنـهُم حكَمُوا بعْدى وبعْدَ أبيهم.. وَرَووا قصَّتى لتكونَ عِـبْرة. التـاريخُ أدرَى بـهِم. فمَاذَا يقُولُ التاريخ؟

– التاريخُ – تقُولُ ساندى – لا يقولُ شيئاً.. إنه يسلْسِلُ الأحدَاثَ التــى وقعَتْ فِعلاً، ويوردهَا كمَا يشَاء.. وأنـتِ لستِ تَاريخًا.. بلْ أسطُورة.

– ومَا الفرْق؟

– الفرقُ.. تردُّ ساندى – إن الأسْطُورةَ لا يُعرفُ أصحابُهَا بالضَّبْط.. وهَلْ حادثتهَا وقعَت أمْ اخترعتهَا مخيْلـةُ البشَـر.. لعلـهَا بـذرةٌ صَغِـيرةٌ وجـدَت أرضًا مِنْ خيَالاَتِ الناس، فجعَلُوا منهَا دوحَة تبرقُ كلُّ ورقَةٍ فيهَا كمَـا فـى الحلْم.. أو ربَما جعَلُوا منهَا غابـةً مِـنَ الأحْـلام. مَـا رَأيـك يـا سـندريلاً أنَّ شاعِرًا عظِيمًا وكاتِبًا مَسْرحيا ابتدعَ أشخَاصًا لا يزَالُ الناسُ منذُ خمسَة قرونٍ يظنونهُم حَقِيقيين؟ هل سمعْتِ برُومْيُو وجُولييت:

– طبْعًا لمْ أسْمَع. – تقُول سندريلاً – هلْ هُمَا عَاشِقَان؟

– تمامًا مِثْلك ومثْل أميرك مجهُول الاسم.. إنه أمِير فقط. لكنَّ مصيرَهُمَا – روميو وجولييت – كَانَ مُفْجِعًا، فقدْ قتلهمَا الحُبّ.

– لو كَانَ لدينَا الوقْت – تقُولُ سندريلاً – لطلبتُ منكِ أنْ تَرْوى لى قصتهُمَا. ولكِنْ.. قُولِى لِى ألمْ يجعَلُوا لهُمَا قصْرًا؟

– لا – تردُّ ساندى ضَاحِكَة – بلْ هنَاك قَبْرٌ مزعُومٌ فى مَدِينَة (فيرونا) الإيطالية يقصِدُه الناسُ كمَا لوْ أنه قبرُ جُولييت فعْلاً.. هَذِه التى لا تزالُ تَعِيشُ فى أذهانِ النَّاس.. وتسيلُ قصَّتهَا عَلى ألسنَتِهِم.. وربمَا تخيلُوهَا حيةً فبعثُوا لهَا بالرسَائل.

– رسَائل؟ – تقُولُ سندريلاً – لماذا إذنْ لا يبعثُونَ لِى برسَائل؟

ساندى تقُول:

– لقدْ بعثُوا لكِ بقلُوبهِم الصَّغِيرة.. وبنجُومِ أحْلامهم.. وبكلٍّ ما فِى صدُورهِم منْ آمالٍ وأمَان.. وبنَوْا لكِ مُدُنًا وقُصُورًا.. وألبسُوا الدُّمَى عَلى مِثَالِكِ وشَبهكِ أروعَ الأثوابِ فمَاذا تريدِينَ أكْثر؟

– آه.. صَحِيح. – تقُول سندريلاً – مَا عَلىَّ إلاَّ أنْ أخْتفِى.. ثمَّ إننِى لسْتُ الأسطُورةَ الوَحِيدة؟.

– تختَفِين! – تقولُ ساندى – ألا تريدِين أنْ تهْبِطى معِى لتشْهَدِى الاحتفَالَ العظِيم بى؟

– آه.. نعَم. – تقولُ سندريلاً وهِىَ تلْهَثُ – أنتِ سندريلاً الحقيقية ولسْتُ أنا.. أنتِ التى تحققِينَ مَا لمْ يخطرْ فى خيَالِ أحدٍ منْ زمنِى لوْ كَانَ لِى زمَن. حَسَنًا.. سأهبُط معَك. ولكنْ..

– ولكنْ مَاذا؟ – تقُولُ ساندى – أنتِ فَألِى الحسَن. ومَا أظنُّ أننِى سأفَارِقُك.

– بلْ أنا التِى يجبُ أن أفارقُك. – تقُول سندريلاً – هل سمعْتِ أنَّ الحلْم واليقظَةِ يجْتمعَان؟ وأنَّ الواقعَ والخيالَ يتقابَلاَن؟

– طبْعًا. – تقُول ساندى – الحلمُ واليقظَةُ يجْتمعَان.. وهَا نحْنُ الاثنتين أنتِ وأنا. أمَّا أنَّ الواقعُ والخيالَ يتقابلاَن فهَذَا مؤكَّد. وقدْ يتطابقَان أيْضًا. سأثبتُ لكِ ذلكَ بعْد أن نعُودَ منَ هذِه الرحلَة.. والأمْثِلةُ أكثَرُ منْ أنْ تُحْصَى. ألمْ يكُن الطيرَانُ خيَالاً ثمَّ أصبحَ واقِعًا.. وانتقَالُ الصوْتِ والصُّورةِ كَذَلك.. والغوصُ فى أعمَاقِ البحَار.. وغيرِهَا؟

– إذَنْ.. يَجِب أنْ أفعَل ذلك.. – تقُول سندريلاً.

تسألُ (ساندى) بلهْفَة:

– ومَا الذِى ستفْعَلين قُولِى لِى بسُرْعَة.. لمْ يبقَ إلا دقائقَ معْدُودةٍ ونهبط.

(ساندى) مسمَّرة بالطبْع فى مقْعَدِها.. مقيَّدةً بكُلِّ الأجهزةِ اللاَّزمةِ لبقائِهَا ضمْن دَائرَة مهمتهَا.. ومنَ المستحِيلِ أنْ تقومَ للحْظة منْ مكانهَا.. والدقائقُ الأخيرةُ حاسِمَة، لأنَّ عينيهَا يجبُ أنْ تُتَابعَ

الأزرارَ وأضواءهَــا وألوانــــهَا.. وذهنــــهَا يجــبُ أن يفــــهمَ مغــــزَى الشفراتِ والإشَارَاتِ المرسَلَة.. لتذهبَ كلُّ تجربتهَا العجِيبة هذِه معَ (سندريلاً) إلى العــدَم.. لا شكَّ أنهَا هلْوسَات أوْ تـهَيُّؤات. المـهمُّ أنْ تظلَّ فى هَذِه الدقَائق الحرجَـةِ شدِيدَة الخطورَةِ على أكمَل وجْـهٍ منَ الإنجاز لأيَّةِ تفصِيلةٍ منَ التفَاصِيل.. وألا تسمحَ لنفسهَا بأيَّةِ ومضَةٍ منْ شُرُود.

وإنْ هـىَ ارتكبتْ أىَّ خطَأٍ فلسوْفَ تُسِــىءُ إلىَ المجموعَــةِ بكامِلِــهَا بــلْ إلىَ الرِّحْلَةِ ككُل.. صحيحٌ أنَّ الأجـهزةَ هـىَ التِى تتحكَّمُ وهـىَ مُبَرْمَجَـةٌ بشكْلٍ ناجحٍ جدًّا لا يشُوبه أىُّ خَطَأ.. لكنَّ الإنسَانَ فــى مثْــلِ هَــذِه التجْربةِ يجبُ أنْ يغْدُو جُزْءًا ولوْ صَغِيرًا جِدا منَ الآلة.. مهْمَا كانت عمْلاَقة أو مُعَقَّدةَ التركِيب.. هنا يــبرزُ التفــوُّقُ البشَــرى.. هنــا تتحقَّــقُ الإرادةُ البَشَرية.. وهنَا عظمَةُ الإنسَان.

يمتَلِىءُ رأسُ (ساندى) بكُل التعليمَات والتوجيهَات التــى تلقتــهَا حــولَ الملاَحَة الفضَائيـة.. واستعَادت شخصيتَهَا كَمُنَفِّذة لعُلُومٍ عُلْيا هِىَ عُلُوم الفضَاء.. وكمتعاملَةٍ بشكْلٍ بارعٍ معَ أجهزةِ الفضَاء.

ولكنْ.. لماذا تظلِـمُ نفسـهَا إلىَ هَـذا الحـد؟ أليسَت بَشَـرًا؟ والبشـرُ مـاذا يسَاوون لولاَ هذا الضيَاء فى عُقُولهم، وهذِه المشاعرُ فى صُدُورهـم؟ يصبحُـون بدُونِهَا آلات.. وهِىَ ليسَت آلة.

ترفُّ ببصرهَا بشكْل خـاطِفٍ إلى مقعَدِ (سـندريلاً).. فـلا تجـدُ مقْعـدًا.. ولا تجدُ (سندريلاً). تفتحُ عينيهَا جيدًا. إذنْ هى هلْوسَات وتــهيُّؤات. لكـنْ

حَفِيفًا مثلَ هواءٍ ناعمٍ يخفقُ إلى جانبهَا.. منْ أينَ الهوَاء؟ إنـهُم فـى مركبةٍ مغلَقَة ومفرَّغَة مِنَ الهوَاء.. والتنفسّ اصْطِنَاعى.

تشعرُ بقَشْعَريرة فـى جسَـدها. تحـركُ أصـابعَ قدميـهَا الملتصِقَتـين بـأرضِ القمْـرة، والمشدُودتيْن بالوثـاق.. كـأنَّ خـدرًا فيـهمَا. أصـابعُ يديـهَا خَـارِج اللعْبَـة، لأنَّ يديـهَا مشـغُولتان بـالأزرار والمكَـابس.. آذن.. فمَـا عليـهَا إلاَّ أنْ تسـتجمعَ إحسَاسـهَا مـنْ كـلِّ أجـزاءِ جسـدهَا ليتجمعَ فِـى عنقـهَا. تحـسُّ بملامسَـةٍ خَفِيفـة.. وبصـوْتٍ كأنـهُ آت مِـنْ كوكَبٍ آخر:

– أنـا هنَـا يـا سـاندى.. فـى مقعَـدِكِ.. التَصِـقُ بـكِ.. إننـى متْعَبـة ألا ترِيْنَ ذلك؟

تردُّ (ساندى) بانفعَال مَكْبوت:

– أنا أحسُّ بك.. لكننِى لا أرَاك. ألا ترِيْنَ أننِى مُقَيدة فى مقعَدِى.

– إذَن – تقـولُ سـندريلاً – سـأعَانقُكِ.. وأقبلُـكِ.. لمْ يبـقَ إلا القلِيـل وأفارقُك.

وتشعُرُ (ساندى) أنَّ ذرَاعيْن يضماتـهَا مثـلَ فَرَاشـتين.. وأنَّ دِفْئـاً ناعِمًـا ولذِيذًا ومخدِّرًا يسْرِى فِى جسدِهَا كُلِّه.

– ولكنْ لماذا؟ – تهمِسُ ساندى – لمَاذا تفَارقيننى؟.. بلْ كيفَ؟ الرحْلَـةُ انتهَت.. وسأفعَلُ كمَا ترِيدينَ بعْدَ أن نهبطَ إلىَ الأرْض.

- لاَ - تقولُ سندريلاً - واحدةٌ منَّا فقط ستهبطُ. وطبْعًا هِيَ أنتِ ولسْتُ أنا.

تسْرى رعشةٌ خفِيفةٌ فى جَسَدِ (ساندى) كُلِّه.. كمَا لوْ أنَّ أحَدًا يرشهَا برذَاذٍ باردٍ. تنتَفِض.. والمؤشرَاتُ تدلُّ علىَ أنَّ لحظةَ الهبُوطِ اقتَرَبَت. بل وقعَت. ولاَ ارتطَام.. ولا ارتجَاج.. فالمركبةُ هبطَتْ فى المحِيط. ولديهم الآن إحْسَاسٌ منْ يسبحُون بعدَ أنْ غيَّرت الأجْهزةُ وظائفهَا، ودخَلُوا فى جَوٍّ الأرْض الحقِيقى.. وهمْ يتنفسُونَ الآن الهواءَ الحقِيقى بعْدَ أنْ تحوَّلت المركبةُ إلى مَا يشْبه آلة حَربية برمَائية.. أو ربمَا غوَّاصَة عَائِمة.

تغمضُ (ساندى) عينيهَا لتمرَّ هذِه اللحظَاتُ الحاسمَةُ بسَلاَم.. وترتخِى أصابعُهَا عَنِ الأزرَار.. ويستعِيدُ جسدُهَا توازُنَه الطبيعى تحتَ ضغطِ الهوَاء الطَّبيعى.. وضمْن جَاذبية الأرْض الطبيعية.. عندَ ذلكَ ستتأكدُ مما يجْرى بينهمَا وبينَ (سندريلاً) وبشكْلٍ طَبيعى أيضًا.

وتتمُّ اللحظةُ المرتقبةُ بعْدَ أنْ هبطَت المركبةُ وكأنهَا مَوْلودٌ مِنْ رَحِمِ السمَاء تتلقَّاه ذراعَا الأرْض. وتهتزُّ الأجْهزةُ اللاقطةُ بمكَالماتِ الترْحِيب.. وترتسِمُ عَلى الشاشَاتِ الصَّغِيرة مشَاهدُ الاستقبَال عَلى الشَّاطِئ.. والشاطئ ليسَ ببَعِيد.. لكنهُ يحتاجُ إلى زمَن. وعبرَ الشاشَاتِ الخاصَّة وكأنهَا مرايَا عَاكِسَة يرون جَمِيعًا الزوارقَ التى تنطلقُ نحوَهُم مُرَحِّبة.

إذَنْ.. سَيُنتقَلُون عبرَ زوارقَ صُنعتْ خِصِّيصًا لهذِهِ الغَاية، وتختلِفُ عنِ الزوارقِ العاديةِ بتجهيزَاتهَا، واستعدادَاتهَا لتحافِظَ على كُلِّ الأسرَار التى

يحمِلُهَا أفرادُ طاقَمِ الفضَاء معَهُم.. ليسَت الأسرَارُ العِلْمية بالطبع لأن الكاميرَات والأجهزةِ هى التى تختزنهَا. لكنهَا الأسرارُ منْ خلال التغيراتِ على أجسَادِهم، وأذهانِهم، ونفُوسِهم أيضًا.. وما يمكنُ أن يرصُدُوه مِنْ رُدُودِ أفعالهِمْ عندمَا يعُودُون ثانيةً إلىَ الأرْض.

إنهَا ملاحظاتٌ ثمِينةٌ جدا.. وتَاريخِية.. لأنهَا مُفِيدةٌ للأبحَاثِ الفضَائية بالنسبةِ لرحلاَت مقْبلَة.

لمْ تسْتطعْ (ساندى) بعدَ أنْ تحللَت مِنْ وثاقهَا، ومنَ الأجهزَة المرتبطَةِ بهَا أن تنهَض.. كأنهَا تحملُ ثقْلاً.. أوْ هىَ لا تريدُ أنْ تفارقَ المرْكَبة.

– مَاذا؟ – يقُولُ رئيسُ الطَّاقَم – ألا تريدِين أنْ تهْبطِى.. يجبُ أنْ تكُونِى أوَّل منْ يهبطُ لأنكِ المرأةُ الوحيدةُ بيننَا.. أمْ أنكِ تشعرِين بخَللٍ مَا؟ هلْ أصَابكِ شىْء؟

لمْ تَرُد (ساندى).. لكنهَا فتحَت ذراعيهَا فِى الفراغِ ثمَّ ضمتهمَا وكأنهَا تعانِقُ شَبَحًا.. أوْ تلَمْلمُ الهوَاء.. ثم أغمضَت عينيهَا.. وابتسمَت.. ولم تلبثْ أنِ انفجَرت بالبكَاء وهىَ تُنَادى:

– سندريلاً.. سندريلاً..

كانت (سندريلاً).. تتحولُ إلى قطرَاتٍ كالدمْع.. ترتفعُ القطراتُ أمامَ بابِ المركبةِ المفتُوحِ مثلَ غيمَةٍ مِنْ بخَار.. تتحللُ الغيمةُ شرَارَاتٍ تبرقُ وتنبضُ كالنجُوم.. تتشكلُ أمامَ (ساندى) مِنْ جَدِيد (سندريلاً) بثوبهَا

الرَّائـع.. وحذائِـهَا الذَّهَبـى.. ثـمَّ يختَفِـى الجسَـدُ ولا يبقَـى سِـوَى الثوْبِ والحذاء.

تعِيدُ (ساندى) النداء.. كأنما ترفعُه إلى السَّمَاء..

سندريلاً.. سندريلاً..

لكنْ (سندريلاً) تتلاشَى نهَائِيًا مثلَ دخَانٍ هىَ والثوبِ والحذاء.

تنظرُ (ساندى) إلى نفسِهَا فتجِـدُ أنـهَا هِـىَ (سـندريلاً).. وأنـهَا ترتَـدِى الثـوبَ الأبيَـضَ.. والحـذاءَ الذَّهَبـى. فتنَـادى بصـوْتٍ مُرْتفـع: سـندريلاً.. سندريلاً. وكأنما تغيبُ عَنِ الوُجُود.. هَـلْ هُـوَ وجودهَـا أو وجُـود سـندريلا معهَا.. أمْ وجودهمَا مَعًا، همَا الاثنتان!

لا تلبـثْ أن تسـمَعَ ضحِكـاتِ أفــرادِ الطـاقمِ وهُـم يتحـرَّرُون نِـهَائيا مـنْ أحزِمتـهِمْ وأجْهزَتِـهِمْ ويـهنئُونَ بعضُـهُم بعْضًـا.. بينمَـا (سـاندى) لا تزالُ ذَاهِلَة.

أحدهُم يقُول:

– ماذا سمعْنا يا سَاندى؟ سـندريلاً.. حقًـا أنـتِ سـندريلاً عـام ٢٠٠٠، سوفَ ننادِيكِ سندريلاً بعْدَ الآن مَا رَأيك؟

يُضِيفُ آخرُ:

وسندريلاً الحقيقيةُ ليسَت أجْمَلَ منهَا ولاَ أكثرَ بَهَاءً.

رئيسُ الطاقمِ يقُول:

– ولكنْ أينَ السّاحِرة؟ أمْ أنَّ مركبتَنَا هِيَ التِي خَلَقَت المعجزةَ وحَقَّقَتْ السِّحْر؟

يقول ثالثٌ:

– بقَى الأميرُ.. لابدَّ أنّ الأميرَ موجُودٌ وفي انتظَارِ العربةِ أعْنِي المركَبة.

ويتعَالى الضحِكُ معَ كلِمَة: سندريلاٌ.. سندريلاٌ.

وإذْ يهبطُ الجميعُ مِنَ المركبةِ يكُونُون قدْ طوقُوا بعضَهُم بعضًا.. وجعَلُوا (ساندى) فى مركزِ الدَّائِرة.. وأخذُوا يلوحُون بأيْديهِم وهُم فى الزورَقِ للنَّاسِ المحتَشِدِينَ عندَ الشَّاطئ فى استقبالٍ رسْمى.

والاستقبالُ بالطبعِ كانَ حَافلاً.. ورسْمِيا، ولو أنه بَعِيد عنِ الافتعَالِ أو الجمُود، فقد اخترقَ المستقبلُونَ الحواجزَ مَا أنْ عَزَفَت الموسيقَى نشيدَ البلاَد، واندفعُوا ليعانقُوا أفرادَ الفرِيق، وليغمرُوهُم بالقبلاَتِ والزهُور.

(ساندى) كانتْ لا تزالُ شاردَةً كأنمَا هِيَ فى كوْكَبٍ آخر.. أو كأنهَا لمْ تهبطْ الأرضَ بعْد.. و (سندريلاٌ) وهى تبتسِمُ لآخرِ مرَّةٍ بينَ الدمُوع.. تودعهَا قبلَ أنْ تَتَلاَشى.. يتراءَى أمامهَا طيْفٌ لؤلُؤِىٌ يتدحْرجُ كالزئبق.. وصَوْتٌ يصلُ خافِتًا مرتعِشًا مثْل الذبذَبَاتِ الآتية منَ الفضَاء. الوجْه يشبهُهَا.. هِىَ (ساندى).. والصوتُ يقولُ لهَا: أنتِ سندريلاٌ.

ويبدُو أنَّ أفرادَ الفريقِ أعجبتْهُم التسمِيَةُ (سندريلاْ)، وقدْ ظنُّوا أنَّ (ساندى) أطلقتهَا عَلى نفسِهَا.. ولمْ يجِدُوا هذِه التسمِية إلا وتَلِيقُ بسَاندى التِى أصبحَت نجمةً متألقةً فى سجلِّ القرْنِ العشرِين.. ومَنْ يدْرى هلْ سيَكُونُ اسمها فى كتابِ الأسَاطير؟

أخذَ رفاقُ (ساندى) يرددُونَ بصوْتٍ واحدٍ وكأنهُم يردِّدُون لحناً:

– سندريلاً.. سندريلاً.. أنتِ نجمَةٌ.. بلْ أكثرُ مِنْ ألفين مِنَ النُّجُوم.

وعندمَا زينُوا صدْرَ (ساندى) بوِسَامِ الاستحْقاقِ للعودَةِ بسَلامٍ وللرجُوع، كان الوسَامُ عبارةً عنْ نجمَةٍ ذهبيَّةٍ متألقَة.

نظرتْ (ساندى) إلى الوِسَام بفرحٍ لا يوصَف.. فرأتْ فى وسطِه صُورَةُ (سندريلاً) وهِيَ تبْتَسِمُ وطَارَت فرحَةُ (ساندى) عَاليًا بينَ النجُوم.. وهِيَ تردِّدُ لنفسِهَا:

«هَلْ أنا ساندى أمْ سندريلاً؟»

«أم أنَّ سندريلاً عام ٢٠٠٠ هِيَ أنا»

«لكنَّ سندريلاً أسْطُورة»

«وأنا نجْمَة»

«فهَلْ تدخُلُ النجُومُ عَالَمَ الأسَاطِير؟»

* * *



رقم الإيداع	٢٠٠١/١٧٨١٨
الترقيم الدولى	977-02-6238-2 ISBN

٧/٢٠٠١/٩٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)